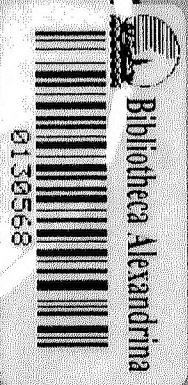
سيد صديق عبد الفتاح

موسوعة أسرار العشق
في التاريخ والادب

العشق.. والحب
في الدين واللغة





العِشق.. والحُبّ
في الدِّين واللُّغة

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع • نشر • توزيع

القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب)

تليفون : ٩٣٢٧٠٦

ص.ب : ١٣١٥

العتبة ١١٥١١

الجيزة : ١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش بالهرم

٨ ش أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة

تليفون : ٣٤٧٣٦٩١

ص.ب : ١٧٠٢

العتبة ١١٥١١

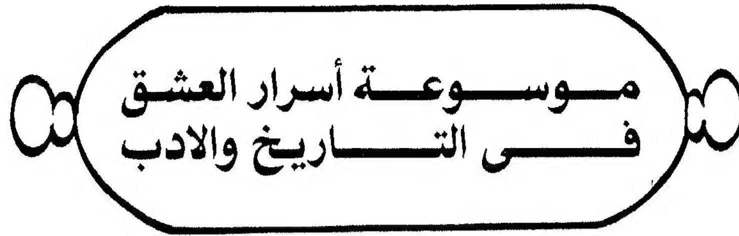
الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع ٢٠٦٩/ ١٩٩٥

I.S.B.N.

977-5424-92-5



العشق.. والحب في الدين واللغة

سيد صديق عبد الفتاح





(مقدمة الكتاب)

عزيزى القارئ :

العشق .. هـذه الكلمة التى مـا تغلغـل معناهـا فى نَفْس من الأنفس إلا غيّرها ، وأسهرها

وما سكن سـر هـذه الكلمة روحًـا من الأرواح ، إلا أسكرها من راحها ، وروائحها بما يجعلها غائبة فى تيه اللا نهائية ..

ولا صادفت أذواقها قلبـًا خاليًـا ، إلا ألهبته بالحب ، وأشعلت فيه نيران الشـوق التى لا تخمد ..

العشـــق .. الذى توحى حروف لفظه بلذاته ، وآلامه ..

فالعشـق .. عينه : عذاب ، **عَذْب** ..

شينه : شوك ، **وشوق** ..

قافـه : قهـر ، **وقُرْب** ..

كم أشقى .. وكم شرّد ..

كم أفنى .. وكم جرّد ..

كم أدنى .. وكم أبعد ..

كم أبكى .. وكم أسعد ..

والعشق .. نوع من أنواع الحب .. أو هو المرتبة السابعة منه ! .

أبطاله ـ من ضحاياه ـ لا تُنسى .. وأسماؤهم ـ من التاريخ ـ لا تُمحى .. سمعنا قصصهم ، وقرأنا سِيَرَهُمْ .. فنذْكُر منهم اليسير من الكثير ، على سبيل المثال ، لا الحصر .. فالدهر ـ من قديم الأزل ـ زاخر بعشاق الشرق أمثال : « بلقيس » و« سليمان » ، « زليخا » و« يوسف » ، « رفقة » و« إسحاق » ، « قيس » و« ليلى » ، « قيس » و « لبنى » ، « جميل » و« بثينة » ، « كثير » و« عزة » ، « وضّاح اليمن » و« أم البنين » ، « توبة ابن الحمير » و« ليلى الأخيلية » ، « المؤمل » و« الذلفاء » ، « مرقش » و« أسماء » ، « مرقش الأصغر » و« فاطمة بنت المنذر » ، «عروة بن حزام » و«عفراء » ، « عمرو بن عجلان » و« هند » ، « على بن أديم » و« منهلة » ، « المهذب » و« لذة » ، « ذو الرمة » و« مية » ، « قابوس » و« منية » ، « المخبل السعدى » و« الميلاء » ، « حاتم طيئ » و« ماوية » ، « الغمر ابن ضرار » و« جمل » ، « النمر بن تولب» و« حمزة » ، « عنتر » و« عبلة » ، « بدر » و« نعم » ، « شبيل » و« فالون » ، « بشر» و« هند» ، « عمرو » و« دعد » ، « عمر بن أبى ربيعة » و« الثرياء » ، « الأحوص » و« سلامة » ، « أسعد بن عمرو» و« ليلى بنت صيفى » ، « نصيب » و« زينب » ، « سحيم عبدا بنى الحسحاس » و« عميرة » ، « عبيد الله بن قيس » و« كثيرة » ، « أبو العتاهية » و« عتبة » ، « عمر بن عبد العزيز » و« فاطمة » جارية زوجته ، « العباس بن الأحنف » و« فوز » ، « أبو الشيص » و« أمامة » ، « الرشيد » و« خالصة » ، « امرؤ القيس » و« عنيزة » ، « جذيمة » و« الزباء » ، « بشر » و« فاطمة » ، « سليمان بن أبى جعفر » و« ضعيفة » ، « يزيد بن عبد الملك » و« حبابة » ، « شمشون » و« دليلة » ، « إبراهيم بن المهدى » و« شارية » ، « يزيد بن الطثرية » و« وحشية » ، « عبد الله بن علقمة »

و « حبيش » ، « مرة بن عبد الله » و « ليلى بنت زهير » ، « القشيرى » و « ريا » ، « ديك الجن » و « وردة » ، « زبيد الطائى » و « خنساء » ، « سيف الدولة » وجاريته ، « علواء » و « البحترى » ، « الولادة » و « ابن زيدون » ، « وحيدة المغنية » و « ابن الرومى » ، « لوسيان » و « عبد الحق حامد » ، « سلمى كرامة » و « جبران خليل جبران » ، « مى زيادة » و « مصطفى صادق الرافعى » ، « سارة » و « عباس محمود العقاد » ، « عريب » و « محمد بن حامد » ، « عكاشة » و « نعيم » ، « ابن رهيمة » و « زينب بنت عكرمة » ... وغيرهم .

وفى السيرة الشعبية : « أيوب » و « ناعسة » ، « حسن » و « نعيمة » ، « شفيقة » و « متولى » ، « عواد » و « وهيبة » ، « على بابا » و « مرجانة » ، « مسعد » و « شلباية »، « عزيزة » و « يونس » ... إلخ .

* * *

لقد قالوا فى العشق ما قالوه .. لكنهم لم يدركوا كُنْهَ سره .. وتاهوا فى كون كيفيته ، فلم يعرفوا سر مبعثه ! .

يعترى المرء ـ فجأة ـ علاماته .. فنراه على غير ما ألفناه فى حياته ! ..

* * *

والعشق فى أرقى صوره ، وأسمى معانيه .. تنوعت ألوانه ، وتشعبت حكاياته .. وخُلِّدت قصص ضحاياه من أبطاله فى الغرب أيضاً ، أمثال : « ألفريد دى موسيه » و «چورج صاند» (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦م) ، «كاترين دى مسيس » و « لويس الرابع عشر » (١٦٣٨ ـ ١٧١٥م) ، « چوليا » و « لامرتين » (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩) ، « ايلوييز » و « أبيلار » (١٠٧٩ ـ ١١٤٤) ، « هانسكا » و « أنوريه دى بلزاك » (١٧٩٩–١٨٥٠) ، «چولييت دوديه» و «ڤيكتور هوجو» (١٨٠٢–١٨٨٥) ، « لوسيل » و «كاميل ديمولان » (١٧٦٠–١٧٩٤) ،

« مارجـــــريت » و « بولانجـــــه » (١٨٣٧-١٨٩١) ، « شـــــارلـــــوت » و « ماكسيميليان » (١٨٣٢-١٨٦٧) ، « دى وارين » و « چان چاك روســو » (١٧١٢-١٧٧٨) ، « شـارلوت بوف » و « يوهان وولفـجـانج جـوته » (١٧٤٩-١٨٣٢) ، « بياتريس » و « دانتى الليجـــيرى » (١٢٦٥-١٣٢١) ، « فانى براون » و «چون كيتس» (١٧٩٥-١٨٢١) ، « تيريزا » و « بيـرون » (١٧٨٨-١٨٢٤)، « هنرييت » و « رينان » (١٨٢٣ - ١٨٨٢) ، « ليـزا سـولوكوف » و « مكسـيم چوركى » (١٨٦٨-١٩٣٦) ، «ماريا راســـكوفـا » و « سـتـالين » (١٨٧٩-١٩٥٣) ، « كلارا بيتوتشى » و « بنيتو موسـولينى » (١٨٨٣-١٩٤٥) ، « دونا جـــيرولاما » و « دون جوان » (١٦٢٧-١٦٧٩) ، « ألكســـندرا فيودوروونا » و « راسـبوتين » (١٨٧٢ - ١٩١٦) ، « روميـــــو » و «چوليـــــيت » (١٢٨٨-٠٠٠٠) « إليـــــانورا دوزيـه » و « دالـزيـو » (١٨٦٤-١٩٣٨)، « إيڤيت لابروس البيجـوم » و « أغـا خـان » (١٨٧٧ - ١٩٥٧) ، « چـاك دمالا » و « سارة برنارد » (١٨٤٤ - ١٩٢٣) ، « رافضات بيتهوفن » (١٧٧٠ - ١٨٢٧) ، « ديزيه كــــلارى » (١٧٧٧ - ١٨٦٩) ، « نابليون بونابرت » و « جوزفـين » (١٧٦٣ ـ ١٨١٤) ، « نابليون » أيضـــا ، « بيلوث » الفرنسية (١٧٧٥ - ١٨٥٣) ، عشـــيقة « نابليون » (١٧٦٩- ١٨٢١) ، « مـاريـا » و « الويـــســـكـــا » (١٧٨٨ - ١٨٥٠) ، « مـارى لـــويـــز » (١٧٩١ - ١٨٤٧) ، «مس سـمبـسـون » و « دوق وندســـور » (١٨٩٤ـ ١٩٧٢) ، « إيفا براون » و « أدولف هتـــلر » (١٨٨٩- ١٩٤٥) ، « ســارة وجـــال ديفـال » و « بودلير » (١٨٢١ - ١٨٦٧) ، « روسـيللنى » و « أنجــــريد برجـمـان » (١٩١٧- ٠٠٠) ، « روبرت براونـنج » و « ألـيـزابيث (١٨٠٥ -١٨٦١) ، « أنطونـيـو » و « كليـوبـاترا » (٦٩ -٣٠ ق.م) ، « كارميـن » و « فـرانـكو »، (١٨٩٢ - ١٩٧٥) ، « التركيـة المجهـــولـة » و « بيير لوتى » (١٨٥٠ - ١٩٢٣) ، «بوليـــن جارسـيـا » و « تورجـنيف »

(١٨١٨ - ١٨٨٣) ، « أولجا جانينا » و « فرانز ليست » (١٨١١ - ١٨٨٦) ، « ماجا فيستيدا » و « جويا » (١٧٤٦ - ١٨٢٨) ، « ليديا أفيلوفا » و « أنطون تشيكوف » (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ، « مارى باول » و « چون ميلتون » (١٦٠٨ - ١٦٧٤) ، « هيلين فورمنت » و « بيتر بول روبنز » (١٥٧٧ - ١٦٤٠) ، « مارى كامبل » و « روبرت بيرنز » (١٧٥٩ - ١٧٩٦) ، « لويز كوليت » و « چوستاف فلوبير » (١٨٢١ - ١٨٨٠) ، « إليزابيث باريت » و « روبرت براونج » (١٨١٢ ـ ١٨٨٩) ، « إيزابيلا شو » و « وليم ثاكرى » (١٨١١ - ١٨٦٣) ، « مارى جودوين » و « شيللى » (١٧٩٢ - ١٨٢٢) ، « چوزفين » و « ديلاكروا » (١٧٩٨ - ١٨٦٣) ، « تريستان » و « إيزوت » (القرن ١٢ ، ١٣) ، وهذا قليل من كثير فى صفحات العشق التاريخية والمعاصرة ..

* * *

لقد كتب المؤلفون فى العشق كتبًا .. وصنفوا له فصولاً .. وفتحوا به أبوابًا .. ورووا عنه قصصًا .. وحكوا منه عجائب .. ووصفوا فيه غرائب .. ووضعوا له مذاهب ..

وهذه بعض الأمثلة مما كتب الفلاسفة والفقهاء والأدباء والمفكرون فى « الحُب والعشق » من رسائل وكتب ومجلدات :

* رسالة في العشق والنساء - للجاحظ (٧٦٧ - ٨٦٨م) .

* « رسالة في العشق » ـ أبو يوسف يعقوب الكندى (٨٠٣ ـ ٨٧٣م) .

* « الزهرة » (جزآن) ـ لأبى بكر محمد بن داود الظاهرى (٨٦٨ ـ ٩١٠م) .

* « الموشى أو الظُرف والظُرفاء » ـ لأبى الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ـ (٨٣٠ ـ ٩٣٦م) .

* « رسالة فى العشق » ـ لأبى العباس بن المعتز (٨٦١ ـ ٩٠٨م) .

* « رسالة فى العشـق » ـ لجماعة إخوان الصفا ـ (النصف الثانى من القرن الرابع الهجـرى) .

* « رسالة فى العشق » لابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) .

* « مصـارع العشـاق فى شـارع الأشـواق » ـ للقـاضى أبى المعـالى عبد العزيز عزيزى بن عبد الملك (ت ٤٩٤ هـ) .

* « مصـارع العشـاق » ـ لأبى محمد بن جعفر الحسين السراج (٤١٧ـ٥٠٠هـ) .

* « مشـارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام » ـ أحمد بن إبراهيم النحاس (ت ٨١٤ هـ) .

* « أسواق الأشواق » ـ لإبراهيم بن عمر البقاعى (٨٠٩ ـ ٨٨٥ هـ) .

* « الواضح المبين فى ذكر من استُشـهد من المحبين » ـ للحافظ مغلـطاى (ت ٧٦٢ هـ) .

* « رُشـد اللبيب إلى معـاشـرة الحبيب » ـ لأبى العبـاس بن فليتـة ـ (ت ٢٣١ هـ).

* « منازل الأحباب ومنازه الألباب » ـ لشـهاب الدين الحـلبى (٦٤٤ ـ ٧٢٥ هـ).

* « المصـون فى سـر الـهوى المكنـون » ـ للحصـرى القيروانـى (ت ٤٥٣ هـ) .

* « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ـ لابن قيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) .

* « منية المحبين وبغية المشتاقين » ـ يوسف بن مرعى الحنبلى (ت ١٠٧٨ هـ) .

* « تسكين الأشواق بأخبار العشاق » ـ ،، ،، ،، ،، ،، .

* « ذَمُّ الهوى » ـ لأبى الفرج ابن الجوزى ـ (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) .

* « طوق الحمامة فى الألفة والألاف » ـ لابن حزم الأندلسى (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ).

* « ديوان الصبابة » ـ لابن أبى حجلة التلمسانى ـ (ت ٧٧٦ هـ) .

* « مدامع العشاق » ـ زكى مبارك ـ (١٣٠٨ ـ ١٣٧١ هـ) .

* « عشق القيان » ـ للجاحظ (٧٦٧ ـ ٨٦٨) .

* « نزهة الأصحاب فى معاشرة الأحباب » ـ للسموءال المغربى (ت ح ٥٧٠ هـ).

* « نزهة الألباب فيما لا يوجد فى كتاب » ـ شهاب الدين التيفاشى ـ (٥٨٠ ـ ٦٥١ هـ) .

* « تحفة العروس ومتعة النفوس » ـ لمحمد أحمد التيجانى (ت ٧٠٩ هـ) .

* « نزهة الأبصار والأسماع فى أخبار ذوات القناع » ـ بدر الدين الصديقى .

* « الساق على الساق فيما هو الفارياق » ـ للشدياق (١٢١٩ ـ ١٣٠٤هـ) .

* « مشـــارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيـــوب » ـ للأنصارى (٦٠٥ ـ ٦٩٩ هـ).

* « روضــة التعــريف بالحب الشــريف » ـ لـســـان الدين بن الخطيب ـ (١٣١٣ ـ ١٣٧٤) .

* « روضة التعريف بالحب الشريف » ـ لسان الدين بن الخطيب ـ (١٣١٣ ـ ١٣٧٤هـ) .

* « نسيم الصبا » ـ لابن حبيب الحلبى ـ (٧١٠ ـ ٧٧٩ هـ) .

* « فاكهـــة الصيف وأنيس الضيف » ـ المنســوب للســـيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) .

* « ترجمان الأشواق » ـ محيى الدين بن عربى ـ (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) .

* « اعـتـلال القلـوب) ـ لأبى بكر محمد جعفر الســـامرى الخرائطى ـ (٢٤٠ ـ ٣٢٧هـ) .

* « جمحــة النهى فى ملحــة المهـــا » ـ للفـــيروز آبـادى ـ (٥٢٨ ـ ٦٢٢ هـ) .

* روضة العاشق ونزهة الوامق للكســائى (ت ٦٣٥ هـ) .

* « امتزاج الأرواح » ـ محمد التميمى (ت ٣٧٠هـ) .

* « عطــف الألــف المـــألــوف على الـــلام المعطـــوف » ـ للديلـــمى (١٢٨١ هـ) .

وهذا ـ أيضاً قليــل من كثير ، أو قطرات من بحـــر ..

* * *

والعـشـــق .. يهبط بالعظيم .. ويسمــو بالوضـيع .. يأسر الحـــــر .. ويُطلق الأسير ..

فالنعيم فى ثناياه .. والجحيم فى طواياه ..

الرحمة بين جوانحه .. والنسمة العطرة فى روائحه ..

* * *

والعشق .. يفتق ذهن البليد ، فينطق بأحلى وأجمل آياته .. ويفتن عقل البليغ ، فيعوقه دون الوصول إلى غاياته ..

فالعشق قد حير الأفكار .. وطاف بالدور كلها والأقطار .. فسكن البر ، والأجواء ، وأعماق البحار .. وما من جامد ، أو متحرك ، أو صامت ، أو ناطق أو متغير ، أو ثابت .. إلا وقد عانى منه الليل والنهار ..

والناس كبصمات الأصابع .. كل امرئ فى عشقه يختلف عن الآخر .

والعشق .. داء .. يخامر العقل .. ويتيه النفس .. ويسكر القلب .. وتنتشى به الروح ، فتسبح فى أجواء الهوى هائمة ..

* * *

وكثيراً ما يسمو **العشق** بالغرائز ، ويبعث بالفضائل الكامنة فى أعماق المرء ، ويهذب النفس ، ويطهر الروح ، ويُكسب العقل ، مواهب وملكات وفطنة ، واللسان : فصاحة وبلاغة وحكمة ..

وكما أن **العشق** درجات فى نفوس الخلق .. كذلك البشر ـ أيضاً ـ معادن مختلفة فى تشرّب **العشق** ..

فالعشق : نور ونار .. جنة وجحيم .. داء ودواء .. لذة ومرار .. مبعث الخواطر .. موقظ النواظر .. منير البصائر .. مطهر الضمائر ..

والعشـق ـ أيضاً ـ نشـوة الروح .. وغذاء القلب .. وشفاء النفس .. ونور العقل .. وعذوبة الفكر .. وشوق الفؤاد .. وبهجة الدنيا .. ومتعة الحياة .

ولكن .. قد يدفع **العشق** بالمرء إلى الزهـد والنسك ، وقد يودى به إلى مهاوى الفتن والفسـق ..

ولا يملك الإنسان ـ فى **العشق** ـ ردّ خيره ، ولا كشف ضُره .. فبصمات **العشق** محفورة فى القلوب .. وآثاره لا تُمحى من النفوس .. وأحـاديثه خالدة تُشنّف بها الآذان ، وتتغذى بها الأفكار ..

(سيد صديق عبد الفتاح)



تعريفات العشق

العشق .. فى اللغة

* ورد فى (القاموس المحيط) للعلامة « الفيروزابادى الشيرازى » ـ (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ / ١٣٢٩ ـ ١٤١٥ م) ـ أن :

(العِشْقُ) :

والمَعْشَقُ ، كمقْعدٍ : عُجْبُ المُحِبِّ بمحبوبه .. أو : إفراطُ المحبِّ ، ويكون فى عفافٍ ، وفى دعارةٍ ، أو عمى الحسِّ عن إدراك عيُوبه ، أو مرض وسواسيِّ يَجْلُبُهُ إلى نَفْسِهِ بتسليط فِكْرِه على اسْتِحْسانِ بَعْضِ الصُّوَرِ .. (عَشِقَهُ) ، كَعلِمَهُ ، عِشْقاً بالكَسْر ، وبالتحريك . فهو عاشق ، وهى عاشق ، وعاشقة .. وَ (تَعَشَّقَهُ) : تكَلَّفَهُ ، وكسِكِّيتٍ : كثيرهُ .. و (عشِقَ بِهِ) : كفرِحَ ولَصِقَ .. أ . هـ .

* * *

وجاء فى (لسان العرب) لابن منظور ـ (٦٣٠ ـ ٧١١هـ / ١٢٣٢ ـ ١٣١١م) ـ أن :

(عِشْق) :

العِشْق : فَرْطُ الحُبِّ .. وقيل هُوَ : عُجْبُ المُحِبِّ بِالْمحْبُوبِ ، يكون فى عفاف الحُبِّ ودعارتِهِ ..

عَشِقَهُ ، يَعْشَقُهُ عِشْقاً ، وعَشَقاً ، وتَعَشَّقَهُ ..

وقيلَ : التَّعَشُّقُ : تكَلُّفُ العِشْقِ ..

وقيلَ : العِشْقُ : الاسْمُ .. والعَشَقُ : المَصْدَر ..

* قال « رؤبة بن عبـد الله العجـاج » (٠٠٠ـ ١٤٥هـ/ ٠٠٠ـ ٧٦٢م) :

(وَلم يُضِعْهَا بيْنَ فِرْكٍ وَعشْـق)

* وَرَجل عاشق مِنْ قَوْمٍ عُشَّاقٍ ، وَعَشِّيق : مِثالُ فَسِّيقٍ : كَثِيرُ العِشْقِ .

وامْـرَأةٌ عَاشِقٌ ـ بغير هاء ـ وعَاشِقَةٌ ..

والعُشُقُ ، والعَسَقُ ، بالشين والسين المهملة : اللُّزُومُ لِلْشَّىء لا يُفارِقُهُ ..

ولذلك قيل لِلكَلِف : عَشِق ، لِلزُومِهِ هَوَاهُ .. والمعْشَقُ : العِشْـقُ ، قـال « ميمون ابن قيس بن جندل الأعشى » (٠٠٠ ـ ٧ هـ / ٠٠٠ ـ ٦٢٩ م) :

(وما بِى مِنْ سُقْمٍ وما بِىَ مَعْشَقُ)

* وَسُئِلَ « أبو العبـاس ، أحمـد بن يحيى » (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ / ٨١٦ ـ ٩٠٤ م) ـ عن الحُبِّ والعِشْقِ : أيُّهما أحْمَدُ ؟ .

فقال : الحُبُّ ، لأنَّ العِشْقَ فِيهِ إفْراط ، وَسُمِّىَ العَاشِقُ عَاشِقًا ، لأنَّهُ يَذْبُلُ مِنْ شِدَّةِ الهَوَى ، كما تَذْبُلُ العَشَقَةُ إذَا قُطِعَتْ ..

والعَشَقَةُ : شَجَرة تَخْضَرُّ ، ثُمَّ تَدِقُّ وَتَصْفَرُّ ..

(عن الزجاج) وَزَعَم : أن اشتقاقِ العاشِقِ مِنْهُ ..

* وقال « كراع النمـل ، علىّ بن الحسـن الأزدى » ـ (٠٠٠ ـ بعد ٣٠٩ هـ / ٠٠٠ ـ بعد ٩٢١ م) :

ـ « هى عنـد المـوَلَّدينَ : اللَّبْـلابُ ، وَجَمْعُهـا : العَشَـقُ ، والعَشَـقُ : الأراكُ أيضـاً .

* وقال « ابن الأعرابى ، أبو عبـد الله محمـد بن زيـاد » ـ (١٥٠ ـ ٢٣١ هـ / ٧٦٧ ـ ٩٥٢ م) ـ الأديب اللغوى :

ـ « العُشُقُ المُصْلِحُونَ : غُرُوسَ الرَّياحينِ وَمُسَوُّوها .. قال : والعُشُـقُ مِنَ الإبلِ : الذى يَلْزَمُ طَرُوقَتَهُ ، ولا يَحِنُّ إلى غيرها ..

* وقال « أبو عمرو الـداني ، عثمان بن سعيد » ـ (٣٧١ ـ ٤٤٤هـ / ٩٨١ ـ ١٠٥٣ م) ـ :

ـ « يقال للنَّاقةِ ـ إذا اشْتَدَّتْ ضَبَعَتُها ـ قَدْ هَدِمَتْ ، وَهَوِسَتْ ، وَبَلَمَتْ وتَهالَكَتْ وَعَشِقَتْ ، وأبْلَسَتْ ، فهي مِبْلاس ، وأَرَبَّتْ مِثْلَهُ » . أ . هـ .

* * *

(باب)

حَبَّةُ القلب ، وأسماؤها ، وإصابتها بالعِشْق ونحوه

* يقال : أصبتُ حَبَّةَ قلبِه ، وسواد قلبه ، وسُوَيْداء قلبه ، وصميمَ قلبه ، وذاتَ قلبه ، وشَغَاف قلبه ، ونِياط قلبه ، وغِشَاء قلبه ، ونَجيع قلبه ، ونخب قلبه ، وتامُور قلبه .

ويقال : هنأت قلبه ، وقَطرت فؤاده ، ودَمَمْته ، ودَجَّلْته ، وذَهَبت به وأذْهبْته ، وخَلَبْته ، وخَلسته ، وخَلَجته ، وحَنَجته ، وحَوَيته ، وحَزْته ، واستَمَلْته ، وعَطَفْته ، وأطَرْته ، وأصرْته .

ويقال : قد شَغَفَهُ حُبّاً ، وهنأ فؤادَه وُدّاً ، وقطر شَغافه عشقاً ، واختلس لُبَّهُ مَحبة ، وخَلَبَ قَلْبه لَهفاً ، وسَرَق فُؤاده تَوَدُّداً ، وسَرَف أيضاً ، وانْتَسَفَ مُهْجَتَه مودَّة ، ودَجَل جَنَانه وداداً .

ويقال : حَلَّ في قلبه ألطفَ مَحَلٍّ ، ونَزَل منه أكرم منْزِل .

وقد تعشَّشَ في قلبه ، وعرَّس فيه ، وخَيَّم ، وثَوَى فيه ، وأقامَ ، وتَبوَّأ فيه ، ودام .

ويقال : قد دَلَّه فؤادَه ، وهيَّمه ، ووَلَّه قَلْبَه ، وتَيَّمه ، وخلبه ، وشَعَفَه وأصْبَاه ، وشَغَفَه .

ويقال : صَغَا قَلْبه ، وصَبَا فؤادُه ، وصَبَّ إليه صَبَابَةً ، وهَويه هوى ومال إليه ، وحنا عليه ، وهَوَى إليه [1] .

---

(١) جواهر الألفاظ ـ لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي .

(فصل)

فى العِشْقِ .. والخلوّ

يُقال : أحَبَّ المرأة ، وهَوِيهَا ، وعَشِقَهَا ، وتَعشّقها ، وعَلِقها ، واعتَلَقها ، وتَعلّقها ، وصبَا إليها ، وكَلِف بها ، وهام بها ، وأُغرم بها ، ووَلِه بها ، ووَلِع بها ، ووَقَعَت بِقلبه ، وأخَذَتْ بمجامع قلبه ، وأُشرب قلبه حبّها ، ومَلَك حُبُّها عنانَه ، وهو بها صَبٌّ ، كَلِفٌ مُغْرَم ، هائم ، ومُستهام ، وهو بها كَلِفُ الفُؤاد ، كَلِف الضُّلوع ، عَميد[(1)] القلب .

وقد أَصْبَتْهُ المرأة ، وتَصَبَّتْه ، واسْتَهْوته ، ودلّهته[(2)] واختبَلَته[(3)] ، وهيّمته[(4)] ، وتيّمته[(5)] ، وشعَفَت قلبه[(6)] وشَغَفَتَه وشَغَلَته ، وتَبلَتَه[(7)] ، وخَلَبَت[(8)] ، لُبّه ، وسَلَبَتْ فُؤادَه ، وأسَرَت فُؤادَه ، واحتبَلَته[(9)] ، وتركته مَسْبُوة الفؤاد[(10)] ، مُسبّه العقل ، شارد اللُّبّ . وقد راعَهُ ما رأى من جَمالها ، واقتُنص بحبائل فتنتها ، وسُحِر بفتُور أجفانها ، وافتُتن بسحر عينيها ، واختُلب بعذُوبة مَنْطقها ، وسُبى بلطف دلّها ، وقد بات فيها أخا صَبابة ، وعلاقة ، وشُغل ، ووُلُوع ، وكَلَف ، وشَغَف ، وحُرقة ، وَجَوى .

---

(1) من قولهم عمده المرض أى : فدحه وأثقله .
(2) أذهبت عقله .
(3) بمعنى دلّهته .
(4) من الهيام ، وهو أن يذهب الرجل على وجهه من العشق .
(5) استعبدته .
(6) ذهبت به أو أحرقته .
(7) هيمته .
(8) خدعت .
(9) من احتبل الصيد إذا أخذه فى حبالته .
(10) أى مُدلّة العقل .

وبفلان هوًى باطن ، وهوًى مُضمَر ، وهوًى دخيل ، وإنه لعفيف الحُبّ ، عُذْرِيّ (١) الهوَى ، وقد نَمَّ عليه سُقْمُه ، ونَمّت عليه عَبَراته (٢) ، وفَضَح الدمعُ سِرَّه ، ورأيتُه وقد ضَرّم الحُبّ أنفاسَه ، واستوقَد الوَجد ضُلوعه ، وأنحَل السُّهد (٣) جسمه ، وبَرى الشوق عَظْمه ، وبَاتَ نَجِيّ وَسْواس (٤) ، وَرهين بَلْبال ، وأليف شجن (٥) وحليف صبْوة (٦) ونِضْو سَقام (٧) ، وصَرِيع (٨) غرام .

وَقَدْ خَبَلَه العشْق ، ووَلّهه ، ودلّهه ، واستوْجَف فُؤادَه ، وأزهَف (٩) عقلَه ، وازدَهَف لُبّه ، وذهب بفؤاده كل مَذهب ، وهام به فى كل وادٍ .

ويقال : فلان طِلْب نساء ، وتَبع نساء ، أى : يطلب النساء ، ويتّبعهنّ ، وهو زير نساء ، وحِدْث نساء ، وخِدْن نساء ، أى : يخالط النساء ، ويُحادثهن ، وإنه لخِلْب نساء أى يُخالبهن ويُخادعهن ، ويقال فلان رامى الزوائل (١٠) إذا كان طَبًّا (١١) بإصباء النساء .

قالوا : وأول مراتب الحُب : **الهوَى** ، وهو ميل النفس .

ثم : **العلاقة** ، وهى الحب اللازم للقلب .

ثم : **الكلَف** ، وهو شدة الحب .

ثم : **العشق** ، وهو إعجاب المحب بمحبوبه .. أو إفراط الحب .

ثم : **الشَغَف** ، وهو أن يَلْذَع الحب شَغاف القلب : أى غِلافَه .

---

(١) نسبة إلى بنى عذرة ، وهم قبيلة فى اليمن اشتهرت بالعشق والعفة .
(٢) دموعه .
(٣) السهر .
(٤) النجى بمعنى المناجى ، وهو الذى يحادثك سرا ، والوسواس حديث النفس .
(٥) هم وحزن .
(٦) حنين وشوق .
(٧) النضو بالكسر المهزول ، وهو فى الأصل اسم للبعير إذا أنضاه السفر أو الكبر ثم يستعار لغيره .
(٨) صريح .
(٩) ذهب به . ومثله ازهف وازدهف .
(١٠) هى فى الأصل بمعنى ما يصاد من الحيوان فاستعير لما هنا .
(١١) حاذقا .

ثم : **الجَوَى** ، وهو الحرقة ، وشدة الوَجْد .

ثم : **التَّتَيُّم** ، وهو أن يستعبده الحب .

ثم : **التَّبْل** ، وهو أن يُسقِمَهُ الهوَى .

ثم : **التَّدَلُّه** ، وهو ذهاب العقل من الهوى .

ثم : **الهُيَام** ، وهو أن يذهب على وجهه لغَلَبة الهوَى عليه .

وتقول : فلان خالٍ من الحُب ، وخَلِيّ ، وخِلْو بكسر فسكون ، وهو رجل عَزِه ، وعِزْهاة [1] ، عزوف عن النساء [2] ، فارغ القلب من الهوى ، لا يَطَّبيه [3] حُبّ الحِسان ، ولا تَسْتَهويه فتنة الجمال ، ولا تعمل فيه عوامل الغَرام ، ولا يَعْنُو [4] لدولة الحُسْن ، وليس لِلْهَوَى عليه نَهْى ولا أَمْر ، وقد جَعَل قلبَه فى جُنَّة [5] من سِهام الحَدَق ، وأقام عليه رقيباً من عَقله ، وزاجراً من رزانته ووازعًا [6] من حَصافته [7] ويقال : تأبّد فلان ، وهو مُتأبِّد ، وإذا طالت عُزبته وقَلَّ أَرَبُه فى النساء [*] .

* * *

(١) هو الذى لا يميل إلى النساء .

(٢) أى : زاهد فيهن .

(٣) يستميله .

(٤) يخضع .

(٥) ستر ووقاء .

(٦) من وزعه عن الشئ بمعنى كفه .

(٧) استحكام عقله .

(*) إبراهيم اليازجى .

(تعاريف العشق)

* قال فيلسوف الأدب « محمد سليم أبو الخير الأنسى » : إن لكل إنسان صبوة إلا من جَفَّتْ ، أو نقصت بنيته ، أو خرجت عن حد الاعتدال أمزجته .

وقال أحد أساتذة العشق : أقل مزاياه : تعلم الكرم ، وجمال الأخلاق ، وكمال الأدب ، وتهذيب النفس ، وطهارة القلب ، وحسن النظافة .

وذلك أن غاية العاشق : أن يرضى معشوقه ، ورضاه بإنصافه بما يوجب المدح والثناء ، ويستوجب ما يبلغ به منه المُنَى ، ورفعة المرتبة فى القلب .

وأن العاشق إذا كان بخيلاً جداً ، فلا يبخل على المعشوق ، ومنه يتطرق الحال إلى كرم كسحاب المطر ، وجميل أخلاق فاضلة مَرْضية الأثر .

روى عن « ابن عباس » قال : « الهَوَى إِلَه معبود » .

فقيل له : أتقول ذلك ؟ .

فقال : نعم أليس قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ (١) .

واعلم أن العشق له ماهية الاستعداد ، بحسب أمزجة الطبائع ، وقَلَّ أن يعيش فتى ، ولم يملك الحب فؤاده ، وجوارحه ، وعواطفه يومًا ما ..

من كان لا يعشق الأساف والحدقا ... ثم ادعى الدنيا فما صدقا
فى العشق معنى لطيف ليس يدركه ... من البرية إلا كُل مَنْ عَشِقا

ومن فرائد ما ذكره الزكى النبيل : بأن النظر الواقع عن تأمل عارف بدور المحاسن ، ورقائق لطيف الشمائل ، يوجب ارتسام أنوار فى النفس تشبه الجواهر المجردة ، فتزدوج بالنفس لاتحاد بينها فى اللطف والصفا .

---

(١) سورة الجاثية ـ آية ٢٣ .

وهذا على أن هيام العشق ، والتفانى فى حبه وأدبه لا يُتَصَوَّر من جاهل غليظ الطبع ثقيل الروح .

ومن فوائد درره ، وجواهر غرره : أن الفيلسوف الفاضل ، والعاشق الكامل قال : العشق فيه بدائع الوسائل ، ووسائل البدائع ، وأبكار الفضائل : سخاوة كف البخيل ، وصفاء ذهن الذكى ، وذلاقة لسان الأديب الألمعى ، تذل الملوك لسطوته ، وتخضع الأسود لهيبته ، وتركع له فى خدره ذوات الربا والقناع ، وتسجد له همة الشجاع ، وهو أول داع إلى الافتتان بفنون الأدب ، وبلوغه منها غاية الأرب ، وأوسع باب يدخل منه الذكى الفطن ، فيشاهد من أسرار الحكمة ما تسكن له الفطن ، فإليه ترتاح نفوس أهل الهمم ، وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم ، يتمتع بمجلسه كل جليس ، ويأنس بحديثه كل أنيس ، ويألف بقُربه كل أليف .. فله الجمال والسرور ، والنفوس تجول فى روض وحبور ، وله دائماً أفراح ، تزيل عن الأفئدة الأتراح .

* * *

ومن فرائد ما ذكرته الفلاسفة : أن للعشق مثالاً ، ولحلاوته عسالاً ، فقال : هو كالنحل ، يستميل القلوب بحلاوة عسله ، وربما قتل بِسُمِّه .. لأن الإنسان إما ذو عقل ملكى يتعقل الأشياء فينزجر ، أو نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك وتنهمر ..

ومن الفرائد ما وجد على صخرة مكتوباً عليها بماء الذهب :

العشق : هيام وجد ، دانت له رقاب العظماء ، ورقت له قلوب الرحماء ، وانقادت له الألباب ، وخضعت لهيبته رءوس الأنجاب .

فالعقل : أسيره ، والنظر : رسوله ، واللحظ : عامله ، والتفكير : جاسوسه والشغف : حاجبه ، والهيمان : نائبه ، بحر مستقر ، ويَمٌّ تياره فائض ، دقيق المسلك ، عسير المخرج .

* * *

(أنواع العشق .. والمحبة)

*** القسم الأول : فى أسماء المحبة :**

قال الشيخ الإمام العلامة « شمس الدين محمد بن القيم » ـ (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) ـ رحمة الله : « لما كان الفهم لهذا المسمى أشد ، وهو بقلوبهم أعلق ، كانت أسماؤه لديهم أكثر » .

« وهذه عادتهم فى كل ما اشتد الفهم له ، أو كثر خُطُوره على قلوبهم ، تعظيماً له ، واهتماماً به ، ومحبة له ، فالأول كالأسد والسيف ، والثانى كالداهية ، والثالث كالخمر .

« وقد اجتمعت هذه المعانى الثلاثة فى الحب ، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً [١] .

فهى : « **المَحَبّة ، والعَلاقة ، والهَوَى ، والصَّبوة ، والصَّبَابَة ، والشَّغَف ، والمِقَة ، والوَجْد ، والكَلَف ، والتَّتيُّم ، والعِشْق ، والجَوَى ، والدَّنَف ، والشَّجْو ، والشَّوْق ، والخِلابة ، والبَلابِل ، والتَّباريح ، والسَّدَم ، والغَمَرات ، والوَهَل ، والشَّجَن ، واللاَّعج ، والاكتئاب ، والوَصب ، والحُزْن ، والكَمَد ، واللّذْع ، والحُرَق ، والسُّهد ، والأَرَق ، واللّهَف ، والحَنين ، والاستكانة ، والتَّبالَةُ ، واللَّوْعة ، والفُتُون ، والجُنون ، واللَّمَم ، والخَبَلُ ، والرَّسيسُ ، والداء المخامِر ، والخُلَّة ، والود ، والحِلْم ، والغَرام ، والهُيام ، والتَدْليه ، والوَلَه ، والتَّعبُّد** » .

« وقد ذُكر له أسماء غير هذه ، وليست من أسمائه ، وإنما هى من موجباته وأحكامه .. فتركنا ذكرها [٢] .

---

(١) كذا ولم يذكر المؤلف ـ ابن القيم ـ منها غير خمسين .

(٢) أكثر ما ذكره هو صفات الحب وآثاره ، كما يتضح ذلك مما ذكره ابن القيم فى كتابه « روضة المحبين » الباب الثانى .

* القسم الثانى : فى اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها :

* **فأما المحبة فقيل** : أصلها الصفاء ، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : حَبَب الأسنان .

وقيل : مأخوذة من الحَباب ، وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد .

فعلى هذا : المحبة غليان القلب وثَوَراتُه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب .

وقيل : مشتقة من اللزوم والثبات ، ومنه أحب البعير إذا برك فلم يَقُمْ .

وقال الشاعر [1] :

حُلْتُ عليه بالفلاةِ ضَرْبًا [2] ضربَ بَعيرِ السَّوْءِ إذْ أحبَّا

وقال :

وما زرن ليلى أن تكون حبيبة إلىّ ولا دَيْن لها أنا طالبُهْ

وقال :

وما هجرتْكِ النفسُ أنك عندها قليل ولا أن قَلّ منك نصيبُها
ولكنهم يا أحسنَ الناسِ أولعُوا بقول إذا ما جئتُ : هذا حبيبُها

أما الحِب بكسر الحاء فهو : فى الحب وغالب استعماله بمعنى المحبوب .

قال فى الصحاح : الحُبُّ المحبة ، وكذا الحِبُّ المحبة ، وكذا الحِبّ ، والحِبُّ أيضاً : الحبيب .

* * *

* تعريفات :

وأما كلام الناس فى حدّها [3] فكثير .

---

(١) الشاعر : هو « أبو محمد الفقعسى » كما قال ياقوت فى حاشيته على الصحاح . (توفى نحو ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) .

(٢) هكذا ، والذى فى الكشاف ، وكتب اللغة : حلت عليه بالقفيل ضربا ـ أى بالسوط .

(٣) حد المحبة : أى تعريفها ، فالحد فى اصطلاح المناطقة : القول الدال على ماهية الشىء .

فقيل : هى الميل الدائم ، بالقلب الهائم .

وقيل : إيثار المحبوب ، على جميع المصحوب .

وقيل : موافقة الحبيب ، فى المشهد والمغيب .

وقيل : اتحادُ مُرادِ المحب ، ومراد المحبوب .

وقيل : إيثار مراد المحبوب على مراد المحب .

وقيل : إقامة الخدمة ، مع القيام بالحُرمة .

وقيل : استقلال الكثير منك لمحبوبك ، واستكثار القليل منه إليك .

وقيل : استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب .

وقيل : حقيقتها أن تَهبَ كُلَّك لمن أحببته فلا يبقى لك منك شيء .

وقيل : هى أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب .

وقيل : هى الغيرة للمحبوب أن تنتقص حُرمته ، والغيرة على القلب أن يكون فيه سواه .

وقيل : هى الإرادة التى لا تنقص بالجفاء ، ولا تزيد بالبِر .

وقيل : هى حفظ الحدود ، فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده .

وقيل : هى قيامك لمحبوبك بكل ما يُحبه منك .

وقيل : مجانبة السلو على كل حال . كما قيل :

ومن كان من طول الهوى ذاق سَلوة ... فإنىَ من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء نلتُه من وصالها ... أمانىُّ لم تصدُق كلمْعَة بارِق

وقيل : ذكْر المحبوب على عدد الأنفاس ، كما قال :

يراد من القلبِ نسيانُكم ... وتأبى الطباع على الناقل

وقيل : عَمَى القلْب عن رؤية غير المحبوب ، وصَمَمُه عن سَمَاع العَذْل فيه .

* وفي الحديث : « **حبك للشيء يعمي ويصم** » (رواه الإمام أحمد) [1] .

وقيل : ميلك إلى المحبوب بكُلِّيتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه .

وقيل : هي بذل المجهود ، فيما يرضى الحبيب .

وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون ، فيضطرب القلب ، فلا يسكن إلا إلى محبوبه ، فيضطرب شوقاً إليه ، ويسكن عنده ، وهذا معنى قول بعضهم : هي « حركة القلب على الدوام وسكونه عنده » .

وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام ، كما قيل :

ومن عجبٍ أني أحنُّ إليهمُ ... واسأل عنهم من لَقيتُ وهم معي
وتطلُبهم عيْني وهُمْ في سَوادِها ... ويشتاقُهُم قلبي وهم بين أضْلُعي !!

وقيل : هي أن يكون المحبوبُ أقرب إلى المحبِّ من روحه .

كما قيل :

يا مقيماً في خاطري وجَنَاني ... وبعيداً عن ناظري وعياني
أنت رُوحي إن كنتُ لستُ أراها ... فهي أدنى إليَّ مِنْ كُلِّ داني

وقيل : هي حضور المحبوب عند المحب دائماً ، كما قيل :

خيَالُك في عيني وذِكْرك في فَمي ... ومثواك في قلبي فأين تَغيبُ ؟!

وقيل : هي أن يستوي قُرْبُ دارٍ ، وبُعْدُها عند المحبِّ ، كما قيل :

يا ثاوياً بين الجوانح والحَشا [2] ... منِّ وإن بَعُدَتْ عليَّ دِيَارُهْ
عطْفاً على صَبٍّ يُحبُّكَ هائم ... إن لم تَصِلْهُ تصدَّعت أعشَارُه [3]
لا يستفيق من الغرام وكلما ... حجبوك عنه تهتكت أستاره

---

(١) في مسند « الإمام أحمد » من حديث « أبي الدرداء » رضي الله عنه : « حبك الشيء يصم ويعمي » .

(٢) الجوانح : جمع جانحة : الأضلاع تحت الترائب ، مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر والحش : ما دون الحجاب مما في البطن والحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٣) جمع عشر : القطعة من كل شيء .

وقـيل : هى « ثبات القلب على أحكام الغـرام ، واسـتلذاذُ العذل فيه ، والمـلام » ، كما قال « أبو الشيص الخزاعى » فى باب الأدب :

وقف الهَوَى بى حـيث أنت فليس لى ... مـتـــأخَّر عنه ولا مُتقــدَّمُ
واهنتنِى فـاهنت نفـسى جـاهداً ... مـا من يهـون عليك مـمن يُكرَمُ
أشـبـهتِ أعـدائى فـصـرت أحـبُّهُمْ ... إذ كـــان حظى منـك حَظّى منهُمُ
أجـــد المَـــلامــةَ فى هواكِ لـذيذة ... حُبّاً لـذكـــرِك فـلْيَلُمْنـى الـلُّوَّمُ

* * *

* العــلاقـة :

وأما العلاقة وتسمى « العَلَق » بوزن القَلَق فهى من أسمائها .

قال الجوهرى : والعَلَق أيضاً الهوى يقال نَظرة من ذى علق ، قال الشاعر[1] :

ولقـد أردت الصـبـر عنك فـعـاقنى ... عـلـق بـقـلبى من هـواك قـــديم

وقد عَلقهـا بالكسر ، وعَلِق حُبُّها بقلبه ، أى هَوِيَها ، وعَلِق بهـا عُلُوقًا ، وسميت علاقة ، لتعلّق القلب بالمحبوب ، قال الشاعر[2] :

أعـــلاقـــة أم الوليـــد بعـــد مـــا ... أفنان رأسك كـالـثـغـام المـخلس[3]

* * *

* الهَـوَى :

وأما الهوى : فهو ميل النفْس إلى الشىء ، وفعله هَوِىَ يَهْوَى هَوًى ، مثل عَمِىَ يَعْمَى عَمًى ، وأما هَوَى يَهوِى بالفتح فهو السقوط ، ومصدره الهُوِىُّ بالضّم .

ويقال : الهَوَى أيضاً على نفس المحبوب قال الشاعر :

---

(١) هو « ابن الدمينة » (حوالى ١٣٠ هـ) كما قال ياقوت .

(٢) هو المرار الفقعسى ، كما قال ياقوت .

(٣) الثغام بالفتح : نبت يكون فى الجبـل يبيض إذا يبس ، ويشبه به الشيب ، والمخلس : الذى خالط سواده البيـــاض .

إن التى زعـــمت فـــؤادَك ملّهـــا   خُلقَتْ هواك كـمــا خُلقْتَ هوًى لهــا

ويقال : هذا هوى فلان ، وفلانة هواه ، أى مَهْوِيّته ، ومحبوبتُه .

وأكثر ما يستعمل فى الحب المذموم . كما قال تعالى : ﴿ وأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَـأْوَى ﴾ (١) .

ويقال : إنما سُمِّى هوًى : لأنه يهوى بصاحبه ، وقد يُستعمل فى الحب الممدوح استعمالاً مُقيَّداً .

* ومن قوله ﷺ : « لا يـؤمن أحـدُكُمْ حـتى يكونَ هَـواهُ تبعًـا لِمَـا جِئْتُ به » (٢) .

* وفى الصحيحين عن عُروة قال : « كانت خولُة بنت حَكيمٍ من اللاتى وَهَبْنَ أنفُسـهُن للنبى ﷺ ، فقالت عائشة : أمَا تَسْتَحِى المرأة أن تَهَب نَفْسَها للرجل ؟! .

فلما نَزَلَتْ : ﴿ تُرجى من تشاء منهن ﴾ (٣) قلتُ : يا رسول الله ، ما أرى ربك إلا يُسارع فى هواك .

* وفى قـصـة أُسـارى بـدر ، قـال « عـمـر بن الخـطاب » : فَهـوِى رســولُ الله ﷺ ما قـال « أبو بكر » ، ولم يهو ما قلت ، وذكر الحديث (٤) .

وفى السُّنَن : « أن أعرابياً قال للنبى ﷺ : « جئتُ أسألك عن الهوَى » ؟.

فقـال : (ﷺ) : « المـرء مع من أحـب » . رواه البخـارى ومسـلم رواية أخـرى .

* * *

(١) الآيتان : ٤٠ و ٤١ من سورة النازعات .

(٢) فى الأربعين للنووى قال : هو حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(٣) الآية : ٥١ من سورة الأحزاب .

(٤) فى صحيح مسلم ، رواه أيضا الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، كما قال السيوطى .

الصَّبْوَةُ والصِّبَا :

وأما الصّبوة ، فمن أسمائها أيضاً ، قال فى الصّحاح ، والصّبا من الشّوق ، ويقال منه : تصابَى وصبَا يصبُو صبْوَةً وَصُبُوّاً ، أى : مال إلى الجهل ، وأصبته الجارية ، وصَبِيَ صَبَاءً مثل سَمِعَ سَمَاعاً ، أى لَعِبَ مع الصّبيان .

قلت : أصل الكلمة من الميل يقال : صبَا بِها إلى كذا ، أى مال إليها ، وسُمِّيَتْ الصّبْوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصّبِيّة ، والجمع : صبَايا مثل مَطِيّة ومَطَايا ، والتصابى هو تعاطى الصبوة مثل التمايل وبابه ، والفرق بين الصّباء والصّبْوة ، والتصابى : أن التصابى : تعاطى الصّبا ، وأن تفعل فعل ذى الصبوة ، وأما الصبا : فهو نفس الميل . وأما الصّبْوة : فالمرّة من ذلك ، مثل الغَشْوة والكَبْوة ، وقد يقال : على الصفة اللازمة مثل « القسوة » .

وقد قال « يوسُف الصّدّيق » : ﴿ وإلاَّ تَصرِف عنّى كَيْدَهُنّ أَصْبُ إليْهِن وأكُن منَ الجاهلين ﴾ [1] .

* * *

* الصَّـبابة :

وأما الصّبابة فهى رقة الشوق وحرارته ، ويقال : رجل صَبٌّ عاشق مشتاق ، وقد صَبِبْتَ يا رجُل بالكَسْر .

قلت : والصّبابةُ من المضاعف من صَبَّ يَصَبّ ، والصّبا والصّبْوة من المعتل ، وهم كثيراً ما يعاقبون [2] ، بينهما ، فبينهما تناسب لفظى ومعنوى ..

قال الشاعر :

تَشَكّى المُحِبُّون الصّبَابَة لَيْتَنى ... تَحمّلتُ ما يَلْقَوْن من بينهم وحدى

* * *

(١) الآية : ٣٣ من سورة يوسف .

(٢) يأتون بهما معاً ، إحدهما عقب الأخرى .

* الشَّغَف :

وأمــا الشَّغَــف : فمن أسمــائها أيضاً ، قــال الله تعــالى : ﴿ قد شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ [1] .

قــال الجــوهــرى وغـيــره : والشِّغــاف غِلافُ القلب ، وهو جلدةٌ كالحجاب .

يقــال : شَغَفَه الحُبُّ ، أى بلغ شغــافَه ، وقــرأ ابن عباس : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ . ثم قال : دَخَلَ حُبُّه تحت الشِّغَاف .

* * *

* الشَّعَف :

وفى الصحاح : شَعَفَه الحب : أى أحرق قلبه ، وقال أبو زيد : أمرضه وقرأ الحسن : ﴿ قد شَعَفَها حُبّاً ﴾ ثم قال : دخل حُبُّه تحت الشِّغَاف .

* * *

* المِقَــة :

وأما المِقة : فهى فِعلة من وَمِقَ يمق ، والمقة : المحبة ، والهاء عوض الواو كالعظة .

قال الشاعر :

ومــاذا عــسى الواشــون أن يتــحــدثوا ... ســـــوى أن يقــــولوا إننى لك و
نعم ، صــدق الواشــون أنت كــريمــة ... علينا وإن لم تصف منك الخــا

قوله من ومق يمق ومقاً : المحبة .

* * *

(1) الآية ٣٠ من سورة يوسف .

* الوجــد :

وأما الوجد ، فهو الحب الذى يتبعه الحزن ، وأكثر ما يستعمل الوجد فى الحـــزن .

* * *

* الكَلَـف :

وأما الكلف فهو من أسمــاء الحُب أيضًا .. يقــال : كَلِفْتُ بهذا الأمر : أى ، أولِعْتُ به ، فأنا كَلِف به ، قال الشاعر :

فَتَعَلَّـمى أن قـــد كَلِفْـــتُ بِكُـمْ ... ثم اصنعى مـــا شـــئت عن عِلْـــم

وأصل اللفظة من الكُلْفَة والمشـقة .

قال تعالى : ﴿ لاَ يُكلِّفُ الله نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [1] .

والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه ﴿ قُلْ ما أَسْألكم عليه مِنْ أجرٍ وما أنا من المتكلفين ﴾ [2] .

* * *

* التَّتَيُّـم :

وأما التَّتيُّم فهو التعبد ، قال فى الصحاح : تَيْمُ الله : أى عبد الله ، وأصله من قولهم : تيَّمه الحُبُّ إذا عبد وذلَّلَهُ فهو متَيَّم ، ويقال : تامته المرأةُ ، قال لقيط ابن زرارة :

تامت فـؤادك لو يحـزنك مــا صَنَعَتْ ... إحــدى نسـاء بنى ذهل بن شــيبــانا

* * *

---

(١) الآية : ٢٨٦ سورة البقرة .

(٢) الآية : ٨٦ سورة ص .

* العشــق :

وأما العشق فهو أَمَرّ هذه الأسماء وأخبثُها ، وقلّما وَلِعَت به العرب ، وكأنهم ستروا اسمه وكَنّوْا عنه بهذه الأسماء ، فلم يكادوا يُفصِحون به ، ولا تكاد تجده في شِعْرهم القديم ، وإنما أُولع به المتأخرون .

ولم يَرِدْ هذا اللفظ في القرآن ، ولا في السُّنة ، إلا في حديث سُوَيْد ابن سعيد [1] ، وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى ، وبعد : فقد استعملوه في كلامهم ، قال الشاعر :

وما عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أن يقولوا إنني لَكِ عاشق
نعم ، صَدَق الواشون أنتِ حبيبة ... إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائق

قال في الصحاح : العِشْق فَرْطُ الحُب ، ورجل عِشِّيق ، أي كثير العِشْق .

وقال ابن سيده : العِشْق عَجَب المُحبِّ بالمحبوب يكونُ في عفافِ الحُب ودَعَارته يعني في العِفّة والفُجُور .

* * *

* الجَــوَى :

وأما الجَوَى ففي الصِّحاح : الجوى الحُرْقة وشِدّة الوَجْد من عِشقٍ أو حزن .

* * *

* الدَّنَــف :

وأما الدَّنَف فلا تكاد تستعمله العرب في الحب ، وإنما وَلِعَ بِهِ المتأخرون . وإنما استعمله العرب في المرض .

قال في الصحاح : الدَّنَفُ بالتحريك : المرض الملازم ، ورجل دَنَف بفتح النون ، وامرأة دَنَف ، وقوم دَنَف يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع .

---

(1) هو حديث : « من أحب فعف فكتم فمات فهو شهيد » .

قلت : وكأنهم استعاروا هذا الاسم للحب اللازم تشبيهاً له . والله أعلم .

* * *

* الشَّجْوُ :

وأما الشجو فهو حُب يتبعه حُزْن وَهَمّ قال الشاعر : (١) .

لا تنكروا القـــتل وقـــد سُـبِينَا في حَلْقِكم عَظْم وقـــد شَجِينَـــا

ورجل شجٍ أى حَزِين ، فأطلق هذا الاسم على الحُب للزومه .

* * *

* الشَّـوْقُ :

وأما الشوق ، فهو سفر القلب إلى المحبوب ، وقد وقع هذا الاسم في السُّنَّة ففي المسند من حديث عمار بن ياسر أنه صلى صلاةً فأوجز فيها ، فقيل له : أوجـزت يا أبـا اليقـظان ، فقـال : لقـد دعـوت فيهـا بدعـوات سـمعتهنّ من رسـول الله ﷺ :

« اللهـم بعلمـك الغيبَ وقـدرتِك على الخلْق ، أحْيني إذا كانت الحيـاةُ خيراً لى ، وتوفّنى إذا كانت الوفاة خيراً لى ..

وأسألك خشيتَك فى الغيْب والشهادة ..

وأسألك كلمةَ الحَقّ فى الغضب والرضا ..

وأسألك القصد فى الفقر والغنى ..

وأسألك نعيماً لا ينفد ..

وأسألك قُرَّة عيْنٍ لا تنقطع ..

وأسألك الرضا بعد القضاء ..

وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت .

---

(١) هو المسيب بن زيد مناة .

وأسـألك لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وجْـهِك ، والشـوقَ إلى لقـائك ، فى غيـر ضرَّاءَ مُضِرَّة ولا فتنة مُضلَّة .

اللهـم زيِّنَّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِين) [١] .

وقد قال تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فإنَّ أجَلَ اللهِ لآتٍ ﴾ [٢] .

قال بعض العارفين : « لَمَّا عَلِمَ الله شوق المحبين إلى لقائه ضربَ لهم موعداً لِلّقاء تَسْكُنُ به قلوبُهم » .

وبعـد : فـهـذه اللفظة من أسـمـاء الحب ، قـال فى الصِّحَاح : الشـوق ، والاشتياق : نزاع النفس إلى الشئ .

يقال : شاقَنِى يَشُوقُنى فهو شائق ، وأنا مشوق وشوَّقَنى فَتَشَوَّقْتُ إذا هَيَّج شوقك . واختلف فى الفرق بين الشوق والاشتياق أيهما أقوى ؟ .

قيل : الشوق أقوى ، فإنه صفة لازمة ، والاشتياق فيه نوع افتعال كما يدل عليه بناؤه كالاكتساب ونحوه .

وقـالت طائفـة : الاشـتياق أقوى لكثرة حروفـه ، وكلما قـوى المعنى ، وزاد . زادوا أحرف المبنى [٣] .

وحكمت فرقة ثالثة بين القولين ، وقالت : الاشـتياق يكون إلى غـائب ، وأما الشوق ، فإنه يكون للحاضر والغائب .

والصواب أن يقال : الشـوق مصدر شـاقه ويشوقه ، إذا دعاه إلى الاشتياق إليه ، فالشوق داعية الاشتياق ومبداه ، والاشتياق موجبه وغايته ، فإنه يُقال : شاقنى فاشتقت ، فالاشتياق فعل مطاوع لشاقنى .

---

(١) هكذا . وفى بعض ألفاظه اختلاف عما فى المسند وجامعى السيوطى .

(٢) الآية رقم (٥) سورة العنكبوت .

(٣) ولهذا يقولون : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

* هل يزول الشوق بالوصال أو يزيد ؟! .

واختلف أرباب الشوق ، هل يزول الشوق بالوصال أو يزيد ؟ .

فقالت طائفة : يزول ، فإن الشوق سَفَرُ القلب إلى المحبوب ، فإذا وصل إليه انتهى السفر .

قال الشاعر :

وألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر[1]

قالوا : والشوق إنما يكون لغائب ، فلا معنى له مع الحضور ، ولهذا فإنما يقال للغائب : أنا إليك مشتاق ، وأما من لم يزل حاضراً مع المحب فلا يوصف بالشوق إليه .

وقالت طائفة : بل يزيد بالقُرب واللقاء ، واستدلوا بقول الشاعر :

وأعظم ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الخيام من الخيام

قالوا : ولأن الشوق هو حُرْقَة المحبة ، والتهابُ نارِها في قلب المحب وذلك مما يزيد القُرب والمواصلة .

والصواب : أن الشوق الحادث عند اللقاء . والمواصلة غير النوع الذى كان عند الغيبة عن المحب .

قال ابن الرومى (٢٢ ـ ٢٨٤ هـ) :

أعانقها والنَّفْسُ بعدُ مشوقة ... لها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول صبابتى ... فيشتد ما ألقىَ من الهيمان
ولم يَكُ مقدار الذى بى من الجوى ... ليَشْفيَه ما ترشقُ الشفتان
كأن فؤادى ليس يَشْفِى غَليلَه ... سوى أن يَرى الروحين يمتزجان

* * *

(١) البيت لمعقر بن حمار (نحو ٤٥ ق . هـ) .

* الخِلابة :

وأما الخِلابة فهى الحب الخادع ، وهو الحب الذى وصل إلى الخِلْب ، وهو الحجاب الذى بين القلب وسواد البطن ، وسُمى الحُب خِلابَة لأنه يخدَع ألبابَ أربابه . والخِلابة الخديعةُ باللسان ، يقال : خَلَبَه يخلبُه ـ بالضم ـ واختلبه مثله .

وفى المثل « إذا لم تغلب فاخلُب » أى : فاخدع والخَلِبَةُ : الخدَّاعةُ من النساء .

قال « ابن السكّيت » (١٨٦ ـ ٢٤٤ هـ) : رجل خَلاّب أى خدّاع كذاب ، ومنه البرق الخُلَّب الذى لا غَيث فيه كأنه خادع .

ومنه قيل لمن يَعدُ ولا ينجز : « إنما أنت برْق خُلَّب » والخُلَّبُ أيضاً : السحاب الذى لا مطر فيه .

ومنه الحديث : « **إذا بايعت فقل لا خِلابَة** » (١) أى : لا خديعة ، والحُب أحق ما يُسمى بهذا الاسم ؛ لأنه يعْمِى ويَصُمّ ويَخْدَع لُبّ المحِبّ وقلبَه .

* * *

* البَلابِل :

وأما البلابل : فجميع بَلْبَلَة ، يقال : بلابل الحب ، وبلابل الشوق ، وهى وَسْواسُه وهَمُّه قال فى الصحاح : البلبلة والبلابل الهم ووَسْواس الصَّدر .

* * *

* التَّباريح :

وأما التباريح : فيقال : تباريح الحب ، وتباريح الشوق ، وتباريح الجوَى ، وبرّح به الحب والشوق ، إذا أصابه منه البرْحُ وهو الشدة . قال الشاعر :

---

(١) الكتُب الستة وغيرها .

أجِـــدٌ هــذا عَمْـــرَكَ اللهُ كـلـمـــــا　　دعـــاك الهوى برْحٌ لعـــينيك بارحُ

وبنات برْح وبنىٌّ برْح والبِرحين بكسر الباء وضمها . [illegible]

* * *

* السَّــدَم :

وأمــا السَّـدَم : بالتحريكْ فهو الحُب ، الذى يتبعه نَدَم وحُزْن ، قاله فى الصحاح [1] .

* * *

* الغَمَـرات :

وأما الغمـرات : فجمع غَمْـرة ، والغَمْـرَةُ : ما يَغْمرُ القلْب من حُبٌ أو سُكْرٍ ، أو غفلة .

قال تعالى : ﴿ قُتِل الخَرَّاصون * الذين هُم فى غَمرةٍ ساهـون ﴾ .

(الذاريات : ١٠ و ١١) .

أى فى غفلة قد غمرت قلوبهم .

وقال تعالى : ﴿ فذرهم فى غمرتهم حتى حين ﴾ . (المؤمنون : ٥٤) .

ومنه الماء الغمر الكثير الذى يغطى من دخل فيه ، ومنه غمرات الموت أى شـدائده ، وكذلك غمرات الحب وهو ما يغطى قلب المحب ويغمره ، ومنه قـولهم : رجل غَمْر الرداء [2] : كناية عن السخـاء ، لأنـه يغمـر العيـوب أى يغطيها ، فلا يظهر مع السخاء عيب .

قال كُثيِّر :

غَمْرُ الـرِّداءِ إذا تبَسَّــم ضَــاحِكًــا　　غَلِقتْ لِضَـحكتِهِ رِقــابُ المــال

* * *

---

(١) قال فى المعجم الوسيط : قلما يذكر السدم مفرداً عن الندم ، يقال : هو سادم وعاشق سدم : شديد العشق .

(٢) غمر الرداء . كثير المعروف سخى .

* الوَهَـل :

وأمـا الوهل : فهو بتحريك الهـاء ، وأصله الفزع ، والورع ، يقال : وهِل يَوْهَل وَهُوَ وَهِلٌ ومُستوهل .

قال « القطامى » (نحو ١٣٠ هـ) يصف إبـلاً :

وتـرى لـجَيْضَتِهِن عـنـد رحـيـلِنـا وَهَلاً كـأنّ بهِنّ جِنّةَ أوْلَقِ(١)

وإنما كان الوَهل من أسماء الحب لما فيه من الرَّوْعِ ، ومنه يقال : جمال رائع ، فإن قيل : ما سبب روعة الجمال ؟ ولأى شىء إذا رأى المحب محبوبه فجأة يرتاع ، ويصفر لونه ويبهت ؟ قال الشاعر :

ومـا هـو إلا أن أراهـا فُجـاءةً فـأُبْهَت حـتى لا أكـادُ أُجـيب

وكثير من الناس يرى محبوبه فيصفرّ ويرتعد ! قيل : هذا مما خفى سببه على كثير من المحبين ، فلا يدرون ما سببه ؟ فقيل : سببه أن للجمال سلطانًا على القلوب إذا بدا ، راع القلوبَ سلطانُه كما يُروعها الملكُ ونحوه ، ممن له سُلطان على الأبدان ، فسلطان الجمال والمحبة على القلوب ، وسلطان الملوك على الأبدان ، فإذا كان السلطان الذى على الأبدان يُروِّع إذا بدا ، فكيف بالسلطان الذى هو أعظم منه ؟! .

وأيضاً .. قالوا : فإن الجمال يأسِرُ القلوب فيحسُّ القلب بأنه أسيرٌ ، ولابد لتلك الصورة التى بدت له ، فيرتاع كما يرتاع الرجـل إذا أحس بمن يأسره ، ولهذا إذا أمن الناظر من ذلك لم يحصل له هذه الروعة .

* * *

---

(١) فى اللسـان قـال : وهـو الروغـان ، والعـدول عن القصد ، وأصل الجيض : الميل عن الشىء .. والأَولَق : الجنون ، وقيل : الخفة من النشاط كالجنون .

* الشَّــجَن :

وأما الشَّجَن : فهو من أسمائه ، فإن الشجن الحاجة حيث كانت ، وحاجة المحب أشد شيء إلى محبوبه .

وقال الشاعر :

تحـمَّل أصـحـابى ولـم يجـدوا وَجْدى ... وللناس أشـجـان ولى شـجـن وحـدى
أحِبُّكم مـــا دمتُ حـــيّاً وإن أمُتْ ... فَواكَبِــدى مــمن يُحِبُّكُمْ بعــدى !!

وهو أنْ الشَّجَنْ الحُزْن ، والجمع : أشجان .

* * *

* اللاَّعِــج :

وأمـا اللاعج : فهو اسم فاعل من قـولهم لَعَجَه الضربُ إذا آلمه ، وأحرق جلده ، ويقال : هوًى لاعِج ، لحُرْقَةِ الفُؤاد من المحب .

* * *

* الاكتئــاب :

وأما الاكتئاب : فهـو افتعـال من الكآبة ، وهى سـوء الحـال والانكسار من الحزن ، والكآبة تتولد من حصول الحب وفَوت المحبوب ، فيحدث بينهـما حالة سيئة تسمى الكآبة .

* * *

* الوَصَــبُ :

وأمـــا الوصب : فـهـو ألم الحُبّ ومرضه ، فإن أصل الوَصَب المـرض ، والمُوصَّب : بالتشديد : الكثير الأوجاع .

* وفى الحديث الصحيح : « لا يُصيبُ المُؤمن مِنْ هَمّ ولا وَصَبٍ حتى الشوكةِ يُشاكُها إلا كَفَّرَ الله بها من خَطاياه » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُم عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ (٢) أى دائم .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ (٣) أى الطاعة دائمة .

* * *

* الحـزن :

وأما الحزن : فقد عُدَّ من أسمـاء المحبـة ، والصواب : أنه ليس من أسماء المحبة ، وإنما هو حالة تحدث للمُحِبّ ، وهى ورودُ المكروهِ عليه ، وهو خلاف المسرة ، ولَمَّا كان الحب لا يخلو من ورود ما لا يُسَرّ على قلب المحب ، كان الحزن من لوازمه .

وفى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ يقول :

« اللهم إنى أعـوذُ بكَ منَ الهَمّ والحَزَنِ ، والعَجْزِ والكَسَلِ ، وَ الجُبْنِ والبُخْلِ وضَلَعِ الدَّيْن ، وغَلَبَةِ الرِّجَال »(٤) .

فاستعاذ (ﷺ) من ثمانية أشياء : كل شيئين منهما قرينان ، فالهم والحزن قرينان ، فإن ورود المكروه على القلب إن كان لِمَا مضى فهو الحزن ، وإن كان لما يستقبل فهو الهَمّ .

والعجز والكسل قرينان ، فإنّ تَخَلُّف العبد عن كماله إن كان من عدم القدرة فهو العجز ، وإن كان من عدم الإرادة فهو الكسل ، والجُبن والبخل : قرينان ، فإن الرجـل يُراد منه النفع بمـاله أو ببـدنه ، فالجبـان لا ينفع ببدنـه ، والبخـيل لا ينفع بماله .

---

(١) فى صحيح مسلم وغيره بألفاظ متقاربة .
(٢) الصافات : آية ٩ .
(٣) النحل ـ آية ٥٢ .
(٤) الصحيحين وغيرهما ، والضلع : القهر .

وضَلَع الدَّيْن وغَلَبة الرجال : قرينان ، فإن قهر الناس نوعان : نوع بحقٍّ فهو ضلع الدَّيْن ، ونوع بباطل فهو غلبة الرجال . وقد نفى الله سبحانه عن أهل الجنة الخوف والحزن ، فلا هم يحزنون على ما مضى ، ولا هم يخافون مما يأتى ، ولا يطيب العيش إلا بذلك ، والحب يلزمه الخوف والحزن .

* * *

* الكَمَد :

وأما الكمد : فمن أحكام المحبة فى الحقيقة ، وليس من أسمائها ، ولكن المتكلمين فى هذا الباب لا يفرقون بين اسم الشىء ولازمه ، وحكمه .

والكمد : الحزن المكتوم تقول منه : كَمِدَ الرجُل فهو كَمِدٌ وكَمِيدٌ والكُمْدَة تغيُّر اللون ، وأكمد القَصَّارُ (١) الثوب إذا لم يُنَقِّه .

* * *

* اللَّذْعُ :

وأما اللذع : فهو من أحكام المحبة ، وأصله من لذع النار . يقال : لذعته النار لذعًا ، أحرقته ، ثم شبَّهُوا اللذع باللسان بلذع النار فقالوا : لذعه بلسانه : أى أحرقه بكلامه ، ويقال : أعوذ بالله من لواذعه .

* * *

* الحُرَق :

وأما الحُرَق : فمن عوارض الحب وآثاره ، والحُرقة تكون من الحب تارة ، ومنه قولهم : ما لك حُرْقة على هذا الأمر ؟ وتكون من الغيظ ، ومنه فى الحديث : « **تركتُهم يتحرَّقون عليكم** » .

* * *

(١) القصار : المبيض للثياب .

* السُّهْد :

وأما السُّهْد : فمن آثار المحبة ولوازمها ، فالسُّهَادُ : الأرق ، وقد سَهِدَ الرَّجُل (بالكسر) سهدًا : أرق ، والسُّهُد (بضم السين والهاء) : القليل النوم .

قال أبو بكر المهدى :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ مُبَطَّنَا سُهُدًا إذا ما نام ليلُ الهَوْجَلِ (١)

* * *

* الأَرَق :

وأما الأَرَق : فمن آثار المحبة ولوازمها ، فإنه السهر ، وقد أَرِقت بالكسر : أى سهرت .

* * *

* اللَّهْف :

وأما اللَّهْف : فمن أحكامها وآثارها ، يقال : لَهِف بالكسر ، يَلْهَفُ لَهْفًا أى حَزِنَ ، وتحسَّر . وقولهم : يا لَهْفَ فلانٍ ، كلمة يُتَحَسَّرُ بها على ما فات ، واللَّهْفَان : المتحسر ، واللَّهيف : المضطر .

* * *

* الحنين :

وأما الحنينُ : فهو الشوق وثَوَران النفْس ، ومنه حَنّ إليه يَحِنّ حَنينًا فهو حانٌّ . والحَنان : الرحمة .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **وَحَنَانًا من لَدُنَّا** ﴾ (٢) .

---

(١) حوش الجنان : أى حديد الفؤاد ، والمبطن : الضامر البطن ، والهوجل : الرجل الأهوج .

(٢) الآية : ١٣ من سورة مريم .

تقول منه : حَنَّ عليه ، والعرب تقول : حَنَانك يارب : أى رحمتك ، وفى الحقيقة : الحنين من آثار الحب وموجباته ، وحنين الناقة صوتُها فى نِزاعِهـا إلى ولدهـا وَحَنَّةُ الرجلِ : امرأته .

قلت : سميت حَنَّة ؛ لأن الرجل يحن إليها أين كان .

* * *

* الاستكانة :

وأما الاستكانة : فمن لوازم الحب وأحكامه ، لامن أسمائه المختصة به . وأصلها الخضوع ، قال تعالى : ﴿ **فمـا استكانـوا لربهـم وما يتضرعـون** ﴾ (المؤمنـون : ٧٦) .

وقال تعـالى : ﴿ **فما وهنـوا لمـا أصابهم فى سبيـل الله وما ضعفـوا وما استكانوا** ﴾ . (آل عمران : ١٤٦) .

وأصلها : استفعل من الكون ، وهذا الاشتقاق والتصريف مطابق للفظ . وأما المعنى فالمُسْتَكِينُ ساكنٌ خاشِع ضد الطائش ، ولكن لا يوافق السكون تصريف اللفظة .

والسكون : الحالة التى فيها إنابة وذل وخضوع ، وهذا يحمد إذا كان لله ، ويُذَمُّ إذا كان لغيره .

ومنه الحـديث « **أعـوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر** »[1] أى الرجـوع عن الاستقامة بعدما كنت عليها .

* * *

(١) ويروى بعد السكون ، وقد رجح النووى هذه الرواية فى الأذكار ، والحديث رواه مسلم والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحور : النقص .

* **التَّبَالــة :**

وأما **التَّبَالة** : فهى فَعالة من تَبَلَه إذا أفناه .

قال الجوهرى : تبَلَهم الدهرُ وأتْبلهم إذا أفناهم .

قال الأعشى :

أأن رأت رَجُـــــلاً أعْشَى أضــــرَّ بِهِ   رَيْبُ الزمـانِ وَدَهْـر مـبْتـــلُ خَبِـــلُ

ومنه قول كعب :

بانت ســعـــاد فــقلبى اليــوم مَتْبُـول   مُتَيَّم عـنـدهـــا لـم يُفْـدَ مكبـــــول

وتبله الحب : أى أسقمه وأفسده .

* * *

* **اللوعــة :**

وأما **اللوعة** : فقـال فى الصحاح : لوعة الحب : حُرْقَتُه ، وقد لاعه الحُب يلُوعُه ، والتاع فؤاده : أى احترق من الشوق ، ومنه قولهم : أتانُ لاعَةُ الفؤاد إلى جحشها ، قال الأصمعى: أى لائعة الفؤاد ، وهى التى كأنها ولهى من الفزع .

* * *

* **الفُتُــون :**

وأما **الفُتُون** : فهو مصدر فتنه يفتنه فُتُونًا .

قال تعالى : ﴿ **وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا** ﴾ (١) .

والفتنة تقال على ثلاثة معانٍ : **أحدهــا** : الامتحان والاختبار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن هى إلا فتنتك** ﴾ (٢) أى امتحـانك واختبـارك ..

والثانى : الافتتان .

---

(١) طه : ٤٠ .

(٢) الأعراف : ١٥٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ واتقوا فِتنةً لا تُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنكُم خاصَّة ﴾ (١)

والثالث : المفتون به .

قال تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ (٢) .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين ﴾ (٣) أى لم تكن عاقبة شركهم إلا أن تبرأُوا منه وأنكروه .

قال الخليل : والفتّن : الإحراق ، ودينار مفتون ، وورق فتين ، أى : فضة مُحْرِقَة .

وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن يَسَعُهُمَا الماء والشجر ، ويتعاونان على الفتان » (٤) .

ويروى بفتح الفاء ، وهو واحد ، وبضمها وهو جمع ، والمقصود أن الحب موضع الفتون ، فما فُتن من فتن إلا بالمحبة .

* * *

* الجنون :

وأما الجنون : فمن الحب ما يكون جنونًا ، ومنه قول بعضهم :

قالت :

جُنِنْت بمنْ تهْوَى فقلت لها : العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبُهُ وإنما يصرع المجنونُ فى الحين (٥)

وأصل المادة من السَّتر فى جميع تصاريفها ، وجَنَّ عليه الليل إذا ستره ، ومنه الجَنين فى بطن أُمه ، ومنه : الجَنَّة لاستتارها بالأشجار ، ومنه : الجِنّ

(١) الأنفال : ٢٥ .
(٢) التغابن : ١٥ .
(٣) الأنعام : ٢٣ .
(٤) فى الجامع الكبير للسيوطى : « المسلم أخو المسلم .. » إلخ قال : رواه أبو داود والبيهقى والطبرانى .
(٥) الحين : الوقت طال أو قصر .

لاستتارهم عن العيون بخلاف الإنس فإنهم يؤنَسون أى يُرَوْن ومنه : الجُنة بالضم وهى ما استترت به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أيمانهم جُنَّة ﴾ . (المجادلة : ١٦) .

والحب المفرط يستر العقل ، فلا يعقل إلى ما ينفعه ويضره ، فهو شُعْبَة مِنَ الجُنون .

* * *

* اللَّمَم :

وأما اللَّمَم : فهو طرَف من الجنون ، ورجُل ملموم (أى به لَمَم) . وأصاب فلانًا من الجن (لَمَّة) وهى المس والشيء القليل .

قال الجوهرى : قلت : وأصل اللفظة من المقاربة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّمَم** ﴾ (النجم : ٣٢) .

وهى : الصغائر .

قال ابن عباس : **ما رأيت أشبه باللمم مما قال أبو هريرة : « إن العين تزنى ، وزناها النظر ، واليد تزنى ، وزناها البطش ، والرِّجْل تزنى ، وزناها المشى ، والفم يزنى ، وزناه القُبَل »** .

وغلام مُلِمّ إذا قارب البلوغ . وبالجملة فلا يتعين كون اللَّمم من أسماء الحُب ، وإن ذَكَره جماعة ، إلا أن يقال : إن المحبوب قد أَلَمَّ بقلب المُحِبّ .

ومنه أَلْمِمْ بنا أى : انزل بنا .

ومنه قوله :

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا فى ديارنا   تجد حطبًا جَزْلاً ونارًا تأجَّجا

* * *

* الخَبْل :

وأمــا الخَبْل : فمن موجبـات العشق وآثاره ، لامن أسمـائه وإن ذُكِرَ في أسمائه ، فإن أصله الفساد ، وجَمْعه خُبول ، والخَبَل بالتحريك : الجُنون . يُقال به خَبَل (أى شيء من أهل الأرض) وقد خبله واختبله إذا أفسد عقله ورجل مُخَبَّل ، وهو نوع من الجنون والفساد .

* * *

* الرَّسِيسُ :

وأما الرسيس : فقد كثر في كلامهم : رسيسُ الهوى والشوق ، ورسيس الحب ، فظن من أدخله في أسماء الحب أنه منها ، وليس كذلك ، بل الرسيس الشيء الثابت [1] ، فرسيس الحـب ثباتـه ودوامـه ، ويمكن أن يكون من رسِّ الحُمَّى ، ورسيسها ، وهو أول مسّها [2] فشبهوا رسيس الحب بحرارته وحُرْقَتِه بِرسيسِ الحمى .

وكـان الواجب على هـؤلاء أن يجعلوا « الأُوَار » من أسمـاء الحب لأنه يُضاف إليه .

قال الشاعر [3] :

إذا وجــدتُ أُوَارَ الحُــب في كَبِــدى ... أقــبلتُ نحــو سقــاء القــومِ أبْتَرِدُ
هَبْني بَرَدْت ببــــردِ المـــاء ظاهرَه ... فَمَنْ لِنارٍ على الأحـشــاء تتَّقــدُ ؟

وقد وقع إضافة الرسيس إلى الهوى في شعر « ذى الرمة » حيث يقول :

إذا غَيَّر النأى المحـبين لم يَكَــدْ ... رَسِـيسُ الهَوَى من حُبِّ مَيَّةَ يبــرحُ

* * *

(١) وجاء في القاموس : و « الرسيس : الشيء الثابت ، وابتداء الحب » ، فلم لا يكون منها ؟! .
(٢) وجاء في المنجد : الرس : ابتداء الشيء ، أول مس الحمى ، « رس الحب » أوله ، بقيته وأثره .
(٣) هو عروة بن أذينة .

* الداءُ المخامِر :

وأما الداء المخامر : فمن أوصافه ، وسُمى مُخامرًا لمخالطتِه القلب والروح يقال : خامره الداء : أى خالطه .

قال الجوهرى : المخامرة المخالطة وخامر الرجل المكان إذا لزمه . وقد يكون أُخِذَ من قولهم : استخمر فلان فلانًا إذا استعبده (١) ،كأن العشق داء يستعبد العاشِق .

ومنه حديث معاذ : « من استخْمر قومًا » (٢) أى : أخذهم قهرًا ، أو تملك عليهم ، فالحب داء مخالط مستعبد .

* * *

* الــوُدّ :

وأمـا الوُدّ : فهو خالص الحُب وألطفُه وأرَقُّه ، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة .

قال الجوهرى : وَدِدْت الرجلَ أَوَدُّه وُدّاً إذا أحْببته والوُدّ ، والوَدُّ ، والوِدُّ : المَودَّةُ . تقول بودّى أن يكون كذا (٣) .

وأما قول الشاعر :

أيهـا العـائدُ المسـائلُ عنـا ... وبـوديك أن تـرى أكـفـانى

فإنما أُشبعَ كسْرُ الدال ليستقيمَ له البيت ، فصارت ياء . والوِدّ : الوديدُ ، بمعنى المودود . والجمع أوُدٌّ مثـل قـدح وأقدُح ، وهمـا يتوادّان وهم أوِدّاء والوَدُود : المحب ، ورجال وُدَداَء يستوى فيه المذكر والمؤنث لكونه وصفًا داخلاً على وصف المبالغة .

---

(١) قال فى المعجم الوسيط : لغة يمانية .

(٢) ذكر الزمخشرى فى الفائق هذا الحديث ، وابن الأثير فى النهاية ، وغيرهما من أصحاب اللغة .

(٣) أحب ذلك وأوده .

قلت : « الوَدود » : من صفات الله تعالى ، أصله من المودّة ، واختُلف فيه على قولين :

فقيل : هو وَدُودٌ بمعنى وادٌّ كضروبٍ بمعنى ضارب ، وقَتُول بمعنى قـاتل ونَئُوم بمعنى نـائم . ويشـهد لهذا القول : أن فعـولا فى صفاته تعـالى بمعنى فاعل : كغفور بمعنى غافر ، وشكور بمعنى شاكر وصبور بمعنى صابر .

وقيل : بل هو بمعنى مودود ، وهو الحبيب ، والأول أظهر لاقترانه بالغفور فى قوله : ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ إن ربى رحيم ودود ﴾ (٢) .

وفيـه سـر لطيف وهـو : أنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ، ويحبه : كما قال:﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٣). فالتائب حبيب الله ، فالود أصفى الحب وألطفه .

* * *

* الخُلّـــة :

وأما الخُلّة : فتوحيد المحبة ، فالخليل هو الذى يوحد حبه لمحبوبه ، وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختص بها فى العالم الخليلان : إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما .

كما قال تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ (٤) .

وصح عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله اتخذنى خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً** » (٥) .

---

(١) الآية ١٤ سورة البروج .
(٢) الآية ٩٠ سورة هود .
(٣) الآية ٢٢٢ البقرة .
(٤) الآية ١٢٥ من سورة النساء .
(٥) رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما كما قال السيوطى .

وفى الصحيح [١] عنه : « **لو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليـلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحِبكم خليلُ الرحمن** » .

وفى الصحيح أيضاً : « **إنى أبرأ إلى كل خليل من خُلّته** » [٢] .

ولما كانت الخُلّةُ مَرْتَبَةً لا تقبل المشـاركة ، امتحن الله سبحـانه وتعالى « **إبراهيم الخليل** » بذبح ابنه لما أخذ شُعْبَةً من قلبه ، فأراد سبحانه أن يخلص تلك الشعبة له ، ولا تكون لغيره فامتحنه بذبح ولده ، والمراد : ذبحه من قلبه لا ذبحه بالمدْية ، فلمـا أسلما لأمر الله وقَدّمَ محبـةَ الله على مَحَبّةِ الوَلَـد خَلَص مقـام الخلّة ، وفدى الولد بالذّبح .

وقيل : إنما سُمِّيَتْ خُلّةً لتخلّل المحبة جميع أجزاء الروح ، قال :

لقــد تخللْتِ مَسْلَكَ الــروحِ مِنّى ... وبــذا سُـمّىَ الخليـل خليــلا

والخُلّة : الخليل يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فى الأصل مصدر .

وقولك : خليل بين الخُلّة والخُلولَة قال [٣] :

ألا أبلغـــا خُلّتى جــــابراً ... بــأن خـلـيـلك لـم يُقْتَـلِ

ويجمع على خلال مثل قُلّة وقِلال .

والخِلّ الـودّ والصديق ، والخِلال أيضاً مصدر بمعنى المخَالّة ، ومنه قولـه تعـالى : ﴿ **لابيع فيـه ولا خـِلال** ﴾ [٤]وقال فى الآيـة الأخـرى : ﴿ **لا بيع فيه ولا خُلّة** ﴾ [٥] .

---

(١) فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ متقاربة .
(٢) رواه مسلم بلفظ آخر .
(٣) هو أوفى بن مطر المازنى .
(٤) الآية : ٣١ سورة إبراهيم .
(٥) الآية : ٢٥٤ سورة البقرة .

وقال امرؤ القيس : [1]

ولست بِمَقْلِّى الخـِلال ولا قالى

والخليل الصٰديق ، والأنثى خليلة والخِلالة والخَلالة بكسر الخاء وفتحها وضمها : الصداقة والمودة .

* * *

*** أيهما أفضل ، الحبيب أم الخليل ؟**

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل وقال : « محمد » حبيب الله ، « وإبراهيم » خليل الله .

وهذا باطل من وجوهٍ كثيرة :

منهـــا : الخُلَّةُ خَاصَّة ، والمحبة عامَّة ، فإن الله يُحبُّ التوابين ، ويحب المتطهرين .

وقال تعالى فى عباده المؤمنين : ﴿ **يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَه** ﴾ [2] .

ومنها : أن النبى ﷺ نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل ، وأخبر « **أن أحب النساء إليه عائشة ، ومن الرجال : أبوها** » [3] .

ومنها : أنه قال : « **إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً** » [4] .

ومنها : أنه قال : « **لو كنت متخذاً من أهـل الأرض خـليلاً ، لاتخـذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوةُ الإسلامِ ومودَّته** » [5] .

* * *

---

(١) صدر البيت : صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ..
(٢) الآية : ٥٤ سورة المائدة .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه ابن ماجه والبيهقى ، وغيرهما كما قال السيوطى .
(٥) فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ متقاربة .

*** الخِلْــم :**

وأمــا الخِـلْم : فمأخوذ من المخالمة ، وهى المصادَقَةُ والمَودّة والخِلْم : الصديق ، والأخلام : الأصحاب .

قال الكميت :

إذا ابتَسَـرَ الـحَـرْبَ أخــلامُهــا ... كِـشـافًا وهُيِّجَتِ الأَفْحُلُ [1]

* * *

*** الغــرام :**

وأما الغرام : فهو الحب اللازم ، يقال : رجـل مغـرم بالحب : أى قد لزمه الحب ، وأصل المادة اللزوم .

ومنه قولهم : رجل مُغْرم من الغُرم أو الدين .

قال فى الصحاح : والغرامُ : الوُلُوع ، وقد أُغرمَ بالشئ : أُولِعَ به .

والغريم الذى عليه الدين يقال : خُذْ من غريم السوء ما سَنَح ، ويكون الغريم أيضًا الذى له الدين .

ومن المادة قوله تعالى فى جهنم : ﴿ **إن عذابها كان غَراما** ﴾ [2] والغرام : الشرُّ الدائم اللازم ، وقال بشـر :

ويــوم النِّســار ويــوم الجِــفَــار ... كــانا عــذابًا وكــانا غــرامــا [3]

وقال الأعشى :

إن يُعاقِبْ يكن غراماً وإن يُعْط جزيلاً فإنه لا يُبالى

---

(١) فى اللسان : وابتسر الفحل الناقة : ضربها قبل الضبعة وهى شدة الشهوة . وفى الكشاف : أن تلقح الناقة فى غير زمان لقاحها ، ويقال ذلك فى الحرب على المثل .

(٢) الآية : ٦٥ سورة الفرقان .

(٣) النسار : ماء لبنى عامر ، ومنه يوم النسار . والجفار : ماء لبنى تميم بنجد ، ومنه يوم الجفار .

وقال أبو عبيدة : ﴿ إن عذابهـا كان غراما ﴾ كـان هلاكًا ، ولزامًا لهم ولِلُطفِ المحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يُطلقون عليها لفظ الغرام وإن لهج به المتأخرون .

* * *

* الهُيَـــام :

وأما الهُيَـــام : ففى الصحاح : هام على وجهه يهيم هَيمانًا وهَيْمًا ذهب من العِشق أو غيره ، وقلب مُستهام أى هائم ، والهُيام : بالضم : أشدُّ العطش ، والهُيام : كالجنون من العِشْق ، أو غيره . والهُيام : داء يأخذ الإبل فتهيم فى الأرض لا ترعى . يقـال ناقـة هيمـاء ، والهِيـام : بالكسـر : الإبل العطاش . الواحـد : هَيْمانُ . وناقـة هَيْمى مثل عطشـان وعطشى ، وقـوم هِيـمٌ : أى عِطاش ، وقـد هامـوا هُيـامـا .

وقوله تعالى : ﴿ فشاربون شُرْبَ الْهِيم ﴾ [(١)] : هى الإبل العِطاش .

قلت : جمع أَهْيَم هِيم مثل أَحْمر وحُمر . وهو جمع فَعْلاء أيضًا كصفراء وصُفْر .

* * *

* التدليـــه :

وأما التَدْليـه : ففى الصحاح التَّدْليهُ : ذهابُ العقل فى الهوى ، ويقال : دَلَّهَهُ الحب .. أى : حَيَّرهُ وأدهشـــه ، ودَلِه هو يَدْلَـهُ .

قال أبو زيد : الدُّلوهُ : الناقة لا تكاد تَحِنّ إلى إلْفِ ، ولا ولد وقد دَلِهَتْ عن إلفها ، وعن ولدها تَدْلَه دُلُوهًـا .

* * *

(١) الآية : ٥٥ سورة الواقعة .

* الوَلَــه :

وأما الوَلَه : ففي الصحـاح : الْوَلَـهُ : ذهـاب العقـل ، والتحيّـر من شـدة الوَجْـد ، ورجل وَالِهٌ ، وامرأة والِهٌ ووالهة .

قال الأعشى :

فَاقْبَـلَتْ وَالِـهاً ثَكْلى على عــجلٍ كُلُّ دهـاهـا وكُلُّ عنـدها اجـتـمـعـا

وفي الحـديث « **لا تُولَّهُ والدة بِوَلَدِها** »[1] أي لا تُجْعَـلُ والهاً ، وذلك في السبـايـا .

وناقة والهٌ : إذا اشتد وجْدُها على ولدها .

* * *

* التَّعبُّـد :

وأما التعبد : فهو غاية الحب وغاية الذُّل ، يقال : عبَّده الحب ، أى : ذلّله وقد ذُكِرَ الله سبحانه وتعالى ورسوله بالعبودية في أشرف مقاماته ، وهى مقام التحدى ، ومقام الإسراء ، ومقام الدعوة ، فقال في التحدى : ﴿ **وإن كنتم في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه** ﴾ (الآية ٢٣ ـ سورة البقرة) .

وقـال في مقـام الإسـراء : ﴿ **سُـبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْـلاً** ﴾ (أول الإسـراء) .

وقال في مقام الدعوة : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾[2] وإذا تدافع أُولُو العزْم الشفاعة الكبرى يوم القيامة يقول المسيح لهم : **اذهبـوا إلى مـحـمـد**

(١) رواه البيهقى في السنن كما قال السيوطى .
(٢) الآية : ١٩ من سورة الجن .

ابن عبد الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخـر ، فنال ذلك المقام لكمال عبوديته منه ، وكمال مغفرة الله له .

فأشـرف صفـات العبد صفة العبوديـة ، وأحب أسـمـائه إلى الله اسـم العبوديـة .

كمـا ثبت عن النبى ﷺ أنه قـال : « أحـب الأسمـاء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها : حارث وهمام ، وأقبحها : حرب ومُرّة »[1] .

وإنما كان حـارث وهمام أصدقها ، لأن كل أحدٍ لابد له من همّ وإرادة وعزم ، ينشأ عنه حرثُه وفعله ، وكل أحد حارث وهمام .

وإنما كان أقبحها حرْب ومُرّة ، لما فى هذين الاسمين من الكراهية ونفور العقل عنهما . وبالله التوفيق .

* * *

(١) فى تيسير الوصول للشيبانى : أخرجه أبو داود ، واللفظ له وللنسائى مختصرا ، كما روى القسم الأول منه مسلم والترمذى ، وابن ماجه وغيرهم .

(العشــق .. وأصحابـــه)

يقول « مغلطاى بن قليج المصرى الحنفى » : (٦٨٩ ـ ٧٦٢هـ / ١٢٩٠ ـ ١٣٦١م) .

ـ « إن العشق يختلف باختلاف أصحابه ، فإن الغــرام أشــد مــا يكون مع الفراغ ، وتكرار التردد إلى المعشوق ..

« ومن تقلبـات هذا العـشق .. أنه عنـدمـا تتـحكم صلة المـودّة بين العاشق والمعشوق تصبح تلك المودّة غراماً ..

« ثم يزداد هذا الـغرام بينهمـا ، وينمـو فيـصير عـشقا ، وولهـا ، وصبابة ..

« ثم كلفًا ، ويزداد تزاورهما ، ويتواصلان صباح مساء ..

« ويقبل العاشق على المعشوق حتى تشبع منه نفسه ، ويتوهم أنه قادر على هجره ، وأن العشق لا يعاوده ، فيفارقه ..

« وبعد يسير .. تتسلط عليه الوساوس ، فيرغب فى الصلح .. وربما يتجنى عليه المعشوق ، فيقتله الغرام ، ويعـود عليه ذلك الهـم بتلف نفســه » ..

* * *

(درجـات الحب والعشـق)

* إن الحُب ينقسم إلى رُتَب ودرجات .. أدناها :

« الاستحسان ، وهو ينشأ عن تردد النظر .

« فإذا زاد ، كان ميلاً ..

« فإذا تمادى ، كان ودّاً ..

« فإذا تعاظم ، كان علاقة ..

« فإذا طال ، كان هوى وغراماً ..

« فإذا نمَا ، كان كلفًا وعشقًا ..

« فإذا شب ، كان وجدًا وخُلة ..

« فإذا لجَّ ، كان شغفًا ولوعة ..

« فإذا رافقه الصد ، كان لاعجًا وتتيماً ..

« فإذا سارت به الأرياح فى البعد ، كان تبتلاً وولهًا ..

« فإذا خامره اليأس ، كان هياماً وتدلهاً .. وهو أعلى المراتب ، حتى يكاد الإنسان أن يعتبره جنونًا إذا شغفه الحب .. وكثيرًا ما يعقبه الموت » .

« وإن المحبة الجميلة التى توجد بصاحب الذوق الجميل على وجه الإجمال : موافقة المحب للحبيب فى الكمال .. وفى الأقوال والأفعال .. والرضا والغضب والحركات ..

« وإن الغيْرة من أوصاف المحبة والعشق .. والغيْرة تأبى الستر والخفاء .. وتظهر بمظهر الافتضاح ..

« فكل من بسط لسانه فى العبارات ، ترجم عنه لسان الفؤاد فى وصف المحبة الصادقة الصادرة عن صميم القلب بكشف عنه ، ولا تظهر على المحب ، وإنما تظهر بشمائله ، ويلحظ لحاظه ، وكنوز جواهره ، وبرقّة طبع طباعه ، ويحفظ أسرار سرائره ، وضمائر ضمائره .. فهى سر أرق من النسيم إذا سرى ، وذوق مفهوم لكل الورى .. فحقيقتها : المحبوب ، ومطلوبها فى قالب الجمال مصبوب ، لكل ذى ذوق سليم ، ونهج قويم لموضع الامتزاج فى صفاء الأسرار بينهما ، المرتبطة فى ضمائر القلوب » ..

* * *

(العشـق وهيبتـه)

وعن العشـق يقول « ابن حـزم » (ت ٤٥٦ هـ) الذى عرف الدنيـا وخبر النـاس :

« لقد وطئتُ بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك .. فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب لمحبوبه .

« ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء ، وتحكم الوزراء ، وانبساط مديرى الدول .. فما رأيت أشد تبجحاً ، ولا أعظم سروراً بما هو فيه من مُحب أيقن أن قلب محبوبه عنده ، ووثق بميله إليه ، وصحَّت مودته له .

« وحضرتُ مقام المعتذرين بين أيدى السلاطين ، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب ، والمتمردين الطاغين .. فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب غضبان ، قد غمره السخط ، وغلب عليه الجفاء .

« ولقد امتحنت بالأمرّين ، وكنت فى الحالة الأولى أشد من الحديد ، وأنفذ من السيف ، لا أجيب إلى الدنية ، ولا أساعد على الخضوع .. وفى الثانية أذل من الرداء ، وألين من القطن ، أبادرإلى أقصى غايات التذلل لو نفع ، وأغتنم فرصة الخضوع لو نجع ، وأتحلل بلسانى ، وأغوص على دقائق المعانى ببيانى ، وأفنن القول فنوناً ، وأتصدى لكل ما يوجب الترضّى » .

* * *



العشْقُ فى الدِّين

« العشـق فى القُـرآن الكريـم »

* العشق : هو الحُبّ المُفْرط الذى يخشى على صاحبه منه .. وعليه تأوّل « محمد بن عبد الوهاب » [١] :

فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [٢] ..

قال « محمد » : هو العشق ..

وقـال « ابن كثير » [٣] فى معنى الآيـة : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَـا مَا لاَ طَاقَـةَ لَنَا بِهِ ﴾ ..

« قـال » « مكحـول » : (ت ١١٢ هـ / ٧٣٠ م) : العزمـة [٤] .. والغلمـة [٥] ..

* * *

وقالـوا أيضا : قد فَسَّر كثير من السَّلَف قوله تعـالى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ .. بالعشـق .. وهـذا لم يريدوا به التخصيص ، وإنمـا أرادوا به التمثيل .. وأن العشق من تحميل ما لا يطاق ..

والمراد بالتحميل ها هنا .. التحميل القدريّ ، لا الشرعى الأمريّ .

قالوا : وقد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعون لهم أن يعافيهم الله من العشق .. ولو كان اختياراً لأزالوه عن نفوسهم .

* * *

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمى النجدى (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م) زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة فى جزيرة العرب .
(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٦ .
(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصروى ثم الدمشقى (٧٠١ـ٧٧٤هـ / ١٣٠٣ـ ١٣٧٣م) .
(٤) العزمة : ما عقد عليه قلبك من أمر .
(٥) الغلمة : شدة الشهوة .

« ذِكْرُ العشق فى الأحاديث النبوية »

(الأرواح : جنود مجندة)

* عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت النبى ﷺ يقول :

ـ « الأرواح جُنُود مُجَنَّدَة ، فَمَا تَعَارَف منها ائْتَلَف ، وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » ..

(رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والإمام أحمد)

* * *

(جزاء مَنْ عَشِقَ)

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ :

ـ « مَنْ عَشِقَ وَكَتَم ، وَعَفَّ وَ صَبَرَ ، غَفَرَ الله لَهُ ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّة » ..

(رواه السيوطى فى جامع الأحاديث عن ابن عساكر فى تاريخه)

* * *

(بسبب امرأة عَشِقَهَا)

* عن أبى ذر ، قال : دخل على النبى ﷺ رجل يقال له (عكاف بن بشر التميمى) ، فقال له النبى ﷺ :

ـ « يا عكاف .. هل لك من زوجة » ؟ .

قال : لا ..

قال : « ولا جارية » ؟ ..

قال : « ولا جارية » ..

قال :ـ « وأنت مُوسر بخير » ؟ ..

قال : « وأنا موسر بخير » ! ..

قال :ـ « أنت إذن من إخوان الشياطين ، لو كنتَ فى النصارى كنتَ من رُهبانهم .. إن سُنَّتِنَا النِّكاح ، شِرَاركم : عُزَّابكم ، وأراذل موتاكم : عزابكم أبالشيطان تمرسون ، ما للشيطان من سلاح أبلغ فى الصالحين من النساء .. إلا المتزوجون .. أولئك المطهَّرون المُبرَّءُون من الخَنَا .. ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ، ويوسف ، وكرسف ، ..

فقال له (بشر بن عطية : ومَنْ (كرسف) يا رسول الله ؟ ..

قال (ﷺ) :ـ « رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلثمائة عام ، يصوم النهار ويقوم الليل .. ثم إنه كَفَر بالله العظيم فى سبب امرأة عَشِقَها ، وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل .. ثم استدرك الله ببعض ما كان منه ، فتاب عليه ..

« ويحك يا عكاف .. تزوج ، وإلا فأنت من المذبذبين » ..

قال : زوِّجنى يا رسول الله ..

قال :

ـ « قد زوجتك (كريمة بنت كلثوم الحميرى) ..

(رواه الإمام أحمد فى المسند) ج ٥ ص ١٦٤ .

* * *

(عشــق مُغيث بَريــرة)

وذكر العلامة ابن قيم الجوزية فى روضة المحبين ما رواه البخارى من قصة « بريرة » : أن زوجها كان يمشى خلفها ـ بعد فراقها له ، وقد صارت أجنبية منه ـ ودموعه تسيل على خديه .. فقال « النبى » ﷺ :

ـ « يا عباس ألا تَعْجَبُ من حُب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا » ؟ .. ثُم قال لها : « لو راجعتيه » ..

فقالت : « تأمرنى » ؟ ..

فقال : « إنما أنا شافع » ..

قالت : « لا حاجة لى فيه » ..

قال ابن قيم الجـوزية : ولم ينهه عن عِشْقِـها فى هـذه الحـال ، إذ ذلك شىء لا يُملك ، ولا يَدخل تحت الاختيار !! ..

* * *

(العشــق اضطرار)

* قال رجـل لـ « عمر بن الخطاب » ـ (٤٠ ق.هـ ـ ٢٣ هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م) ـ رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين .. إنى رأيت امرأة فعشقتها ..

فقال « عمر » : « ذاك مما لا يُملك » !! ..

* * *



العشْقُ الإلهى

« العشــق الإلهــى »

(عشــق الآخــرة)

قال الإمام «أبو حامد الغزالى» ـ (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) :

ـ « لو كان للإنسان معشوقة ، وقيل له : (إن صبرت عنها هذه الليلة .. سلّمت إليك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب .. وإن كنت تزورها ، فإنك لا تراها أبدًا ، فإنه ـ وإن كان عشقه لها عظيمًا ، وصبره عنها أليمًا ـ يهون عليه صبره على البُعْد عنها ليلة واحدة ، لينال الآخرة ، بل الدنيا ليست بشيء فى جنب الآخرة ، ولا شبه بينهما ، لأن الآخرة لا نهاية لها ، ولا يُدرك بالوهم طولها ».

* * *

(رُتْبــة العشــق)

* وقال « الحسن بن يسار البصرى » (٢١ ـ ١١٠هـ/٦٤٢ ـ ٧٢٨م) .

ـ « المحبة ، سببها الاستحسان .. فإن كان الاستحسان لفضائل النفس : حدثت رتبة الإعظام .. وإن كان الاستحسان للصورة والحركات : حدثت رُتبة العشق » .

* * *

(عشــق أصحاب المقامات العليا)

* قال « الجنيد » [1] : « العشق ألفة رحمانية ، وإلهام شوقىّ ، أوجبهما الله تعالى على كل ذى روح ليحصّل به اللذة العظمى التى لا يقدر

(١) هو الجنيد بن محمد البغدادى الخزاز ، أبى القاسم (٠٠٠ ـ ٢٩٧هـ / ٠٠٠ ـ ٩١٠م) .

على منالها إلا بتلك الألفــة ، وهى موجــودة فى النفس ، مُقدَّرة مراتبها عند أربابها ، فما من أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قَدْر طبقته من الخلْق ، ولذلك كـان أشرف المـراتب فى الدنيــا : مراتب الذين زهـدوا فيها ، مع كونها معاينة .. ومالوا إلى الآخرة ، مع كونها مخبرًا لهم عنها بصورة اللفظ » انتهى .

وهذا هو عشق أصحاب المقامات العليا ، والطبقات العظمى ..

* * *

(العشــق : انجـذاب القلـوب)

قال « الخواص » [1] : العشق .. انجذاب القلوب إلى مغناطيس الحُسْن ، وكيفية هذا الانجذاب لا مطمع في الاطلاع على حقيقتها ، وإنما يُعبَّر عنها بعبارات تزيدهــا خفــاء ، وهو كالحُسْــن فى أنه أمـر يُدرك ، ولا يمكن التعبير عنــه ، وكالوزن فى الشعر ، وما أحسن قول بعض الحكماء : (من وَصَفَ الحُب ما عَرفه) .

* * *

(العشــق : نــور)

وقال « الإسكندر الثالث » (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق . م) ملك مقدونيا :

ـ « العشق : نور شعشانى ، أوجده واجب الوجود فى اللطايف القدسية .. مؤلفـًا بين المتنافيين ، لبقاء سِرِّه الخفى فى تناسبها .. إذ التنافى مـؤدٍّ إلى الشتات ، والشـتات مـؤدٍّ إلى الانفــراد ، والانفراد مؤدٍّ إلى الوحـدة ، والوحــدة مؤدية إلى العجــز ، والعجز مؤدٍّ إلى العدم ..

---

(١) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق الخواص (٠٠٠ ـ ٢٩١ هـ/ ٠٠٠ ـ ٩٠٤ م) .

وهو مع ضيائه جارٍ مجرى ظُلْمة الشهوة التى رَكّبها الله تعالى لبقاء معانى الأجسام .. إذ لا سبيل إلى بقاء أعيانها » ! ..

* * *

(العشـق ضـرورة)

* وقال بعضهم :

ـ « إن الله خلَق كل روح مدورة على هيئة الكُرة ، وجزّأها أنصافًا .. وجعل فى كل جسد نصفًا .. فكل جسد لقى الجسد الذى فيه النصف الذى قُطِع من النصف الذى معه .. كان بينهما (عشق) ضرورة للمناسبة القديمة .. وتفاوت أحوال الناس فى ذلك من القوة والضعف على قَدر طبائعهم » ! .

* * *

(لــذة العشــق)(*)

* يقول الإمام ، أبو حامد الغزالى ، (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) :

كل من لم يعرف الله فى الدنيا ، فلا يراه فى الآخرة .. وكل من لم يجد لذة المعرفة فى الدنيا ، فلا يجد لذة النظر فى الآخرة ، إذ ليس يستأنف لأحد فى الآخـرة ما لم يصحبـه من الدنيا ، ولا يحصد أحـد إلا ما زرع ، ولا يحشـر المـرء إلا على ما مات عليه ، ولا يموت إلا على ما عاش عليه ، فما صحبه من المعرفـة ، وهو الذى يتنعم به بعينه فقط .. إلا أنه ينقلب مشـاهدة بكشـف الغطاء ، فتتضاعف اللذة به ، كما تتضاعف لذة (العاشق) إذا استبدل بخيال صورة (المعشوق) رؤية صورته ، فإن ذلك منتهى لذته .

وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهى ، فمن لا يشتهى إلا لقاء الله تعالى ، فلا لذة له فى غيره ، بل ربما يتأذى به .

فإذن نعيم الجنّة بقدْر حُب الله تعالى ، وحُب الله تعالى بقدر معرفته ؛ فأصل السعادات هى المعرفة التى عبّر الشرع عنها بالإيمان .

فإن قلت : فلذّة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة ، فهى قليلة ، وإن كان أضعافها ، لأن لذة المعرفة فى الدنيـا ضعيفة . فتضاعفها إلى حـدّ قريب لا ينتهى فى القـوة ، إلى أن يستحقـر سائر لذات الجنة فيـهـا ؟ فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة ، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها ؟ وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا ، فكيف يُدرك لذّتها ؟ .

(*) إحياء علوم الدين .

فللعارفين – فى معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى – لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلاً عنها ، لم يستبدلوا بها لذة الجنة ، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، كما لا نسبة للذة خيال (المعشوق) إلى رؤيته ، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع .

وإظهار عِظَم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول : لذة النظر إلى وجه المعشوق فى الدنيا تتفاوت بأسباب :

(**أحدها**) : كمال جمال المعشوق ونقصانه ، فإن اللذة فى النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة .

و (**الثانى**) : كمال قوة الحب والشهوة والعشق ، فليس التذاذ من اشتد عشقه .. كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه .

و (**الثالث**) : كمال الإدراك ، فليس التذاذ برؤية المعشوق فى ظلمة ، أو من وراء ستر رقيق ، أو من بعده .. كالتذاذه بإدراكه على قُرب من غير ستر ، وعند كمال الضوء ، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل ، كإدراكها مع التجرد .

و (**الرابع**) : اندفاع العوائق المشوشة ، والآلام الشاغلة للقلب : فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق .. كالتذاذ الخائف المذعور ، أو المريض المتألم ، أو المشغول قلبه بمهم من المهمات .

فقدر عاشقاً ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بُعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه ، فهو فى هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه .

فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر ، وأشرق بها الضوء ، واندفع عنه المؤذيات ، وبقى سليماً فارغاً ، وهجمت عليه الشهوة القوية ، والعشق المفرط ، حتى بلغ أقصى الغايات .. فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتدّ بها .

فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة .

فالستر الرقيق : مثال البدن ، والاشتغال به .

والعقارب والزنابير : مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن .

وضعف الشهوة والحب : مثال لقصور النفس فى الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى ، والتفاتها إلى أسفل السافلين ، وهو مثل قصور الصبى عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور .

والعارف وإن قويت فى الدنيا معرفته ، فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها ألبتة .

نعم .. قد تضعف هذه العوائق فى بعض الأحوال ولا تدوم ، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته ، بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ، ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم : بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينقصه ، وهذه ضرورة دائمة فى هذه الحياة الفانية ، فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت ، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت .. وإنما العيش عيش الآخرة .

﴿ وَإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ [1] .

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٤ .

وكل من انتهى إلى هـذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ، ولا يكره إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة ، فإن المعرفة كالبذر ، وبحر المعرفة لا ساحل له ، فالإحاطة بكنه جلال الله مُحال .

فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت ؛ كَثُر النعيم فى الآخرة وعَظُم ، كما أنه كلما كثر البذر وحسُن ، كثر الزرع وحسُن ، ولا يمكن تحصيل هذه البذور إلا فى الدنيا ، ولا يُزرع إلا فى صعيد القلب ، ولا حصاد إلا فى الآخرة ، ولهذا قال رسول الله ﷺ :

ـ « **أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله** »[1] .

لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداواة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب .

ويستدعى ذلك زمانًا لا محالة ، فمن أحب الموت أحبه ، لأنه رأى نفسه واقفًا فى المعرفة بالغًا إلى منتهى ما يُسِّر له ، ومن كره الموت كرهه ، لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ، ورأى نفسه مقصرًا عما تحتمله قوته لو عَمَّر ، فهذا سبب كراهة الموت ، وحبه عند أهل المعرفة .

وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت : أحبوا البقاء ، وإن ضاقت : تمنوا الموت . وكُلّ ذلك حرمان وخسران ، مصدره الجهل والغفلة .. فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة . والعلم والمعرفة أساس كل سعادة ، فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ، ومعنى لذة المعرفة ، ومعنى الرؤية ، ومعنى لذة الرؤية ، ومعنى كونها ألذ

(١) حديث « أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله » أخرجه إبراهيم الحربى فى كتاب ذكر الموت » .

من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال ، وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان ، كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان .

* فإن قلت : فهذه الرؤيا محلها القلب ، أو العين فى الآخرة ؟ فاعلم أن الناس قد اختلفوا فى ذلك ، وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ، ولا يسأل عن المبقلة .

ومن يشتهى رؤية معشوقه ، يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق فى عينه أو جبهته ، بل يقصد الرؤيا ولذتها ، سواء كان ذلك بالعين أو غيرها ، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له ، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين . هذا فى حكم الجواز ، فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين ، فلا يدرك إلا بالسمع [1] والحق ما ظهر لأهل السُّنّة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر ، وسائر الألفاظ الواردة فى الشرع يجرى على ظاهره ، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة . والله تعالى أعلم .

* * *

(١) حديث « رؤية الله فى الآخرة حقيقة » متفق عليه من حديث أبى هريرة : أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ... الحديث » .

(العشـق بين الـدّاء .. والـدّواء)

* **يقول « ابن قيم الجوزية » :** [1]

هذا فصل متعلق بعشق الصور ، وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة .. وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاكر ، فإنه يفسد القلب بالذات .. وإذا فسده فسدت الإرادات والأقوال والأعمال ، وفسد ثغر التوحيد .

والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهم قوم « لوط » و « النساء » .. فأخبر عن عشق امرأة « العزيز » ليوسف ، وما راودته وكادته به ، وأخبر عن الحال التى صار إليها « يوسف » بصبره وعفته وتقواه ، مع أن الذى ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبّره الله عليه ، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع ، وكان الداعى ها هنا فى غاية القوة ، وذلك لوجوه :

أحدهما : ما ركب الله سبحانه فى طبع الرجل من ميله إلى المرأة ، كما يميل العطشان إلى الماء ، والجائع إلى الطعام ، حتى إن كثيراً من الناس صبر عن الطعام والشراب ، ولا يصبر عن النساء ، وهذا لا يذم إذا صادف حلالاً ، بل يُحمد كما فى كتاب الزهد للإمام « أحمد » من حديث « يوسف بن عطية الصفار » عن « ثابت البناني » عن « أنس » عن « النبى » ﷺ : « **حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنْيَاكُم الطِّيبُ والنِّساء ، أَصْبِرُ عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن** » .

الثاني : أن «يوسف» عليه السلام كان شاباً ، وشهوة الشباب وحدّته أقوى .

الثالث : أنه كان عزباً ، لا زوجة له ولا سرية ، تكسر حدّة الشهوة .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الدمشقى (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) .

الرابع : أنه كان فى بلاد غربة ، لا يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ، ما يتأتى لغيره فى وطنه وأهله ومعارفه .

الخامس : أن المرأة كانت ذات منصب وجمال ، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها .

السادس : أنها غير آبية ولا ممتنعة. فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته فى المرأة إباؤها وامتناعها ، لما يجد فى نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها . وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع حُبّاً ورغبة . كما قال الشاعر :

وزادنى كَلَفًا فى الحب أن منعت ... أحب شىء إلى الإنسان ما مُنِعَا

فطباع الناس مختلفة فى ذلك :

فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة نفسها ، ورغبتها ، وتضمحل عند إبائها وامتناعها ، وأخبرنى بعض القضاة أن إرادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته أو سريته وإبائها ، بحيث لا يعاودها .

ومنهم من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع ، ويشتد شوقه بكل ما مُنع ، ويحصل له من اللذة بالظفر ، نظير ما يحصل من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره ، واللذة بإدراك المسألة بعد استصعابها وشدة الحرص على إدراكها .

السابع : أنها طلبت وأرادت ، وبذلت الجهد ، فَكَفَتْه مُؤنة الطلب ، وذل الرغبة إليها ، بل كانت هى الراغبة الذليلة ، وهو العزيز المرغوب إليه .

الثامن : أنه فى دارها وتحت سلطانها وقهرها ، بحيث يخشى ـ إن لم يطاوعها ـ مِنْ أذاها له ، فاجتمع داعى الرغبة والرهبة .

التاسع : أنه يخشى أن تنِمّ عليه هى ، ولا أحد من جهتها ، فإنها هى الطالبة والراغبة ، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء .

العاشـــر : أنه كان مملوكًا لها فى الدار ، بحيث يدخـل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه ، وكأن الأمن سابقٌ على الطلب ، وهو من أقوى الدواعى .

كما قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب : ما حملك على الزنا ؟

قالت : قُرْب الوِسَاد ، وطول السواد .

تعنى قُرْب وساد الرجل من وسادتى ، وطول السواد بيننا .

الحادى عشر : أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال ، فأرته إياهن ، وشَكَتْ حالهــا إليهن لتستعين بهن عليه . فاستعــان هــو بالله عليهن فقــال : ﴿ وإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِـنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَـاهِلِينَ ﴾ .

(سـورة يوسف ـ آية ٣٣) .

الثانى عشر : أنها توعدته بالسجن والصغار ، وهذا نوع إكراه ، إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به ، فيجتمع داعى الشهوة ، وداعى حب السلامة من ضيق السجن والصغار .

الثالث عشر : أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ، ويبعد كلاًّ منهما عن صاحبه ، بل كان غاية ما خطبهما به أن قال ليوسف : ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ .. وللمرأة ﴿ اسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِين ﴾ .

وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع . وهنا لم يظهر منه غيرة .

ومع هذه الدواعى كلها ، فقد آثر مَرضاة الله وخوفه ، وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنى فقــال : ﴿ رَبِّ السِّـجْنُ أَحَـبُّ إِلَىَّ مِمـَّا يَدْعُـونَنِى إِلَيْــهِ ﴾ . (سورة يوسف ـ آية ٣٣) .

وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه ، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن .. صبًا إليهن بطبعه ، وكان من الجاهلين .

وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه .

وفى هـذه القـصـة من العِبرَ والفـوائد والحِكَم ما يزيد على ألف فـائدة .. لعلنـا إن وفقنا الله أن نفردها فى مصنف مستقل .

فصـل

والطائفة الثانية ، الذين حكى الله عنهم العشق : هم « اللوطية » كما قال تعالى : ﴿ وَجَـاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . (الحجر ـ ٦٧/٧٢) .

فهذا .. من العشق .

فحكاه سبحانه عن طائفتين ، عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ، ولم يُبال بما فى عشقه من الضرر .

وهـذا داء أعيـا الأطبـاء دواؤه ، وعـزَّ عليـهم شـفـاؤه ، وهـو والله الداء العضـال ، والسـم القتّال الذى ما علـق بقلب إلا وعزَّ على الوَرَى استنقاذه من إسـاره ، ولا اشتعلت ناره فى مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره ، وهو أقسـام :

تارة يكون كُفرًا ، كمن اتخذ معشوقه ندّاً ، يحبه كما يحب الله ، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله فى قلبه ؟

فهذا عشق لا يغفره الله لصاحبه ، فإنه من أعظم الشرك ، والله لا يغفر أن يُشْرَكَ بِهِ ، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك .

وعلامة هذا العشق الشركى الكُفرى : أن يقدّم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه . وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحق ربه وطاعة ربه ، وطاعته .. قدّم

حق معشوقه على حق ربه ، وآثر رضاه ، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه ، وبذل لربه ـ إن بذل ـ أردأ ما عنده ، واستفرغ وسعه فى مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه ، وجعل لربه ـ إن أطاعه ـ الفضلة التى تفضل عن معشوقه من ساعاته .

فتأمّل حال أكثر عشاق الصور ، هل تجدها إلا مطابقة لذلك ؟ ثم ضع حالهم فى كفّة ، وتوحيدهم فى كفّة ، وإيمانهم فى كفّة ، ثم زِنْ وَزْنًا يرضى الله ورسوله ، ويُطابق العدل .

وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه ، أحب إليه من توحيد ربه ، كما قال العاشق الخبيث :

يترشفن من فمى رشفات   هُنَّ أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وَصْل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه .. فعياذًا بك اللّهُم من هذا الخذلان ، ومن هذا الحال قال الشاعر :

وصلك أشهى إلى فؤادى   من رحمة الخالق الجليل

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشِّرْك ، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبقَ فى قلبه موضع لغير معشوقه ألبتة ، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله ، فصار عبدًا مُخْلصًا من كل وجه لمعشوقه . فقد رضى هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبوديته لمخلوق مثله ، فإن العبودية هى كمال الحُب والخضوع ، وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذُله لمعشوقه . فقد أعطاه حقيقة العبودية .

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة ، فإن تلك ذنب كبير لفاعله حكم أمثاله ، مفسدة هذا العشق ، مفسدة الشرك .

وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول : لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة . أحبُّ إلى من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبى ، ويشغله عن الله .

فصـل

ودواء هذا الداء القتـال : أن يعرف أن ما ابتُلِىَ به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله ، فعليه أن يعرف توحيد ربه من سُنَنِه وآياته أولاً ، ثم يأتى من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه ، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه فى صرف ذلك عنه ، وأن يرجع بقلبه إليه . وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله . وهو الدواء الذى ذكره الله فى كتابه حيث قال :

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾
(يوسف ـ آية ٢٤) .

فأخبر سبحانه أنه صَرَّفَ عن « يوسف » السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه .

فإن القلب ، إذا أخلص عمله لله ، لم يتمكن منه عشق الصور . فإنه إنما يتمكن من القلب الفارغ ، كما قال :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع قد يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها ، وإعدام المفاسد وتقليلها . فإذا عرض للعاقل أمر يَرَى فيه المصلحة والمفسدة ، وجب عليه أمران ، أمر علمى وأمر عملى ، فالعلمى : طلب معرفة الراجح من طرفى المصلحة والمفسدة ، فإذا تبين له الرجحان ، وجب عليه إتيان الأصلح له .

ومن المعلوم : أنه ليس فى عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية ، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة ، وذلك من وجوه :

أحدهما : الاشتغال بذكر المخلوق وحُبه ، عن حُب الرب تعالى وذِكْرِه . فلا يجتمع فى القلب هـذا وهـذا ، إلا ويقـهر أحدهمـا صاحبـه ، ويكون السلطان والغلبة له .

الثانى : عذاب قلبه بمعشوقه ، فإن من أحب شيئًا غير الله ، عُذِّبَ بِهِ . ولابد كما قيل :

فـمـا فى الأرض أشـقى من مُحب ... وإن وجـد الهـوى حُلو المـذاق
تـراه بـاكـيًا فى كـل حـين ... مـخـافـة فُرْقَة أو لاشـتـيـاق
فـيـبكى إن نأوا شـوقًا إليـهم ... ويبكى إن دنوا خـوف الفـراق
فـتسـخن عـينه عند الفـراق ... وتسـخن عـينه عند التـلاق

والعشق ، وإن استلذ به صاحبه ، فهو من أعظم عذاب القلب .

الثالث : أن العاشق قلبه أسير فى قبضة معشوقه يَسُومه الهوان ، ولكنه لسَكْرة العشق لا يشعر بمُصابه ، فقلبه كالعصفور فى كف الطفل ، يورده حياض الرَّدَى ، والطفل يلهو ويلعب ، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثق ، ويعيش الخَلِيّ عيش المسيب المطلب ، والعاشق كما قيل :

طلَيق بـرأى العـين وهو أسـيـر ... عـليـل على قطب الهـلاك يدور
ومـيت يُرَى فى صـورة الحى غـاديًـا ... وليس له حـتى النشـور نشـور
أخـو غـمـرات ضـاع فـيـهن قلبـه ... فليس له حـتى المـمـات حـضـور

الرابع : أنه يشتغل عن مصالح دينه ودنياه . فليس شىء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور .

أما مصالح الدين ، فإنها منوطة بلم شَعْث القلب وإقباله على الله ، وعشق الصور أعظم شىء تشعيبًا وتشتيتًا له .

وأما مصالح الدنيا فهى تابعة فى الحقيقة لمصالح الدين . فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه . فمصالح دنياه أضيع وأضيع .

الخامس : أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور ، من النار فى يابس الحطب .

وسبب ذلك : أن القلب كلما قَرُب من العشق ، وقَوى اتصاله به بَعُدَ من الله . فأبعد القلوب من الله : قلوب عشاق الصور .

وإذا بَعُدَ القلب من الله .. طرقته الآفات من كل ناحية . فإن الشيطان يتولاه ، ومن تولاه عدوه ، واستولى عليه .. لم يألُه وبالاً[1] ، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله .

فما الظن بقلبٍ تمكَّن منه عدوه ، وأحرص الخلق على عيبه وفساده وبُعده من وليه ، ومن وليه ، ومن لا سعادة له ولا فلاح ، ولا سرور إلا بقلبه وولايته ؟

السادس : أنه إذا تمكن من القلب ، واستحكم وقوى سلطانه .. أفسد الذهن ، وحدث الوساوس ، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم . فلا ينتفعون بها ..

وأخبار العشاق فى ذلك موجودة فى مواضعها ، بل بعضها يُشاهد بالبيان ، وأشرف ما فى الإنسان عقله ، وبه يتميز عن سائر الحيوانات ، فإذا عدم عقله التحق بالبهائم ، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله ، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرّ به إلا العشق ؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره ، كما قيل :

قالوا :

جُننتَ بمن تهوى ؟ فقلتُ لهم : العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون بالحين

---

(١) أى لم يقصر فى إيصال أنواع الهلاك إليه ..

السابع : أنه ربما أفسد الحواس أو أنقصها ، إما إفسادا معنويّاً ، أو صوريّاً ، أما الفساد المعنوى فهو تابع لفساد القلب ، فإن القلب . إذا فسد ، فسدت العين والأُذُن واللسان . فيرى القبيح حَسَناً منه ، ومن معشوقه ، كما فى (المُسْنَد) مرفوعًـا :

ـ « حُبك الشىء يعمى ويُصِمّ » .

فهو يعمى عين القلب عن رؤية مساوى المحبوب وعيوبه .. فلا ترى العين ذلك ، ويصم أُذُنه عن الإصغاء إلى العَذْل فيه . فلا تسمع الأُذُن ذلك ، والرغبات تستر العيوب ، فإن الراغب فى شىء لا يرى عيوبه ، حتى إذا زالت رغبته فيه أبصر عيوبه . فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشىء على ما هو عليه ، كما قيل :

هويتك إذ عــينى عليــهـا غـشــاة فلمــا انجلت قطعت نفسى ألومــهـا

والداخل فى الشىء لا يرى عيوبه ، والخارج منه الذى يدخل فيه لا يرى عيوبه ، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ، ثم خرج منه .

ولهذا .. كان الصحابة الذين دخلوا فى الإسلام بعد الكفر ، خيراً من الذين وُلدوا فى الإسلام .

قال « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه : « إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا وُلد فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية » .

وأما إفســاده للحواس ظاهراً ، فإنـه يمرض البدن وينهكه ، وربما أدى إلى تلفه ، كما هو المعروف فى أخبار منْ قَتَلَه العشق .

وقد رفع إلى « ابن عباس » وهو بعرفة شاب قد نَحل ، حتى عاد جِلْدًا على عَظْم . فقال : ما شأن هذا ؟

قالوا : به العشق .

فجعل « ابن عباس » يتعوذ بالله من العشق عامة يومه .

الثـــامن : أن العشق كما تقدم هو الإفراط فى المحبة بحيث يستولى المعشـوق على القلب من العاشـق ، حتى لا يخلو من تخيله وذِكْره والتفكير فيـه ، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه . فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية ، فتتعطل تلك القوى ، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعسر دواؤه ويتعذّر ، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده ، ويختل جميع ذلك ، فيعجز البشر عن صلاحه ، كما قيل :

الحُب أول مـــا يكون لجـاجـــة ... يأتى بهـــا وتســـوقـــه الأقـــدار
حـتى إذا خـاض الفـتى لجج الهـوى ... جـــاءت أمـــور لا تُطاق كـبـــار

والعشق : مبادؤه سهلة حلوة ، وأوسطه : هَمٌّ وشغل قلب وسقم ، وآخره : عطب وقتل ، إن لم تتداركه عناية من الله كما قيل :

وعش خـــاليًا فـــالحب أوله : عنى ... وأوسطه : ســـقم ، وآخـــر : قـــتل

وقال آخر :

تولع بالعـــشق حـــتى عـــشق ... فلمـــا اســـتـــقل به لم يطق
رأى لجـــة ظنهـــا مـــوجـــة ... فلمـــا تمكّن منهـــا غـــرق

والذنب منه ، فهو الجانى على نفسه ، وقد قعد تحت المثل السائر : « يداك أوكتا وفوك نفخ » .

* * *

للعاشق ثلاث مقامات

والعاشق له ثلاث مقامات : مقام ابتداء ، ومقام توسط ، ومقام انتهاء .

فأما مقام ابتدائه ، فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه ، إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرًا قدرًا وشرعًا . فإن عجز من ذلك وأبى قلبه إلى السفر إلى محبوبه .

وهذا مقام التوسط والانتهاء : فعليه كتمان ذلك ، وأن لا يُفْشِيَهُ إلى الخَلْق ، ولا يشْمت بمحبوبه ، ولا يهتكه بين الناس ، فيجمع بين الظُلم والشِّرْك . فإن الظلم فى هذا الباب من أعظم أنواع الظلم ، وربما كان أعظم ضررًا على المعشوق ، وأهله ، من ظُلمه فى ماله ، فإنه يعرض المعشوق بهتكه فى عشقه إلى وقوع الناس فه ، وانقسامه إلى مُصدّق ومُكذّب .

وأكثر الناس بصدق فى هذا الباب بأدنى شبهة ، وإذا قيل : فلان فعل بفلان ، أو بفلانه ، كذّبه واحد ، وصدّقه تسعمائة وتسعة وتسعون .

وخبر العاشق المتهتك عن غير المتهتك عند الناس فى هذا الباب يفيد القطع واليقين ، بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه كذبًا وافتراء على غيره ، جَزموا بصدقه جزْمًا لا يحتمل النقيض .

بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقًا . جزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما ، وجزمهم فى هذا الباب على الظنون والتخييل والشبهة والأوهام والأخبار الكاذبه ، كجزمهم بالحسيات المشاهدة .

وبذلك وقع أهل الإفك فى الطيّبة المطيبة ، حبيبة رسول الله ﷺ ، المُبرأة من فوق سبع سموات ، بشبهة مجيء « صفوان بن المعطل » بها وحده خلف العسكر ، حتى هلك من هلك .

ولولا أن تولى الله سبحانه براءتها والذّب عنها ، وتكذيب قاذفهـا .. لكان أمراً آخـر .

والمقصود : أن فى إظهار المُبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظُلمه وأذاه ما هـو عدوان عليه وعلى أهله ، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه . فإن استعان عليه بمن يستميله إليـه ، إمـا برغبة أو رهبـة تعدى الظلم وانتشـر ، وصار ذلك الواسطة ديّوثاً ظالماً .

وإذا كـان النبى ﷺ قـد لعن الرائش ـ وهو الواسطة بين الراشى والمـرتشى لإيصال الرشوة ـ فما الظن بالديوث : الواسطة بين العاشق والمعشوق فى الوصلة المحرمة ؟ فيساعد العاشق على ظلم المعشوق مع غيره ، ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه فى نَفْسٍ أو مال أو عِرْض . فإن كثيراً ما يتوقف حصول غرضه المطلوب على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه .

وكم قتيل ظل دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب .

وكم خببت امرأة على بعلها وجارية ، وعبد على سيدهما .

وقد لَعن رسول الله ﷺ مَنْ فَعَلَ ذلك ، وتبرأ منه . وهو من أكبر الكبائر .

وإذا كان النبى ﷺ قد نَهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، وأن يسـوم على سـومـه ، فكيف بمن يسعى بالتفريق بينـه وبين امرأتـه وأمتـه حتى يتصل بهمـا ؟ .

وعشاق الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنباً ، فإن فى طلب العشق ، وصل معشوقـه مشـاركة الزوج والسيد . ففى ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة ، إن لم يرب عليها .

ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة ، فإن التوبة ، وإن أسقطت حق الله ، فحق العبد باقٍ له المطالبة به يوم القيامة . فإن من ظلم الوالد بإفساد ولده وفلذة كبده ومن هو أعز عليه من نفسه ، وظلم الزوج بإفساد حبيبته والجناية على فراشه ـ أعظم ممن ظلمه بأخذ ماله كله . ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ ماله . ولا يَعْدِل ذلك عنده إلا سَفْك دمه ، فياله من ظلم أعظم إثمًا من فِعْلِ الفاحشة .

فإن كان ذلك حقًا لغازٍ في سبيل الله أوقف له الجاني الفاعل يوم القيامة ، وقيل له : « خُذْ من حسناته ما شئت » كما أخبر بذلك النبي ﷺ ثُم قال ﷺ : « فما ظنكم[1] ؟ » أي فما تظنون يبقى له من حسناته ؟ فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جارًا ، أو ذا رَحِم محرم ، تعدد الظلم ، وصار ظلمًا مؤكدًا لقطيعة الرحم وأذى الجار . ولا يدخل الجنة قاطع رَحِم ولا من لا يأمن جاره بوائقه .

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن ، إما بسحر ، أو استخدام ، أو نحو ذلك .. ضُمَّ إلى الشرك والظلم كفر السحر . فإن لم يفعله هو ورضِيَ به ، كان راضيًا بالكفر غير كاره له لحصول مقصوده . وهذا ليس ببعيد من الكفر .

والمقصود : أن التعاون في هذا الباب : تعاون على الإثْم والعدوان .

وأما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدى ضرره ، فأمر لا يخفى ، فإنه إذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق أمور أخرى يريد من العاشق إعانته عليها ، فلا يجد من إعانته بُدًا . فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان .

(١) رواه أبو داود عن بريدة .

فالمعشوق يعين العاشق على ظُلم من اتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه .

والعاشق يعين المعشوق على ظلم من نكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه .

فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التى يكون فيها ظلم الناس ، فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما فى القُبح ، لتعاونهما بذلك على الظلم .

وكما جرت به العادة بين العاشق والمعشوق ، من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغى ، حتى ربما يسعى له فى منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله ، وفى تحصيل مال من غير حله ، وفى استطالته على غيره .. فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيا .. لم يكن إلا من جانب المعشوق .. ظالماً كان أو مظلوماً . هذا إلى ما ينضم إلى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على أخذ أموالهم ، والتوصل إلى معشوقه بسرقة أو غصب ، أو خيانة ، أو يمين كاذبة ، أو قطع طريق ، ونحو ذلك .. وربما أدى ذلك إلى قتل النفس التى حرّم الله ليأخذ ماله ليتوصل به إلى معشوقه .

فكل هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ عن عشق الصور ، وربما حمَلَه ، على الكفر الصريح .

وقد تَنصَّر جماعة ممن نشأوا فى الإسلام بسبب العشق ، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر ـ وهو على سطح مسجد ـ امرأة جميلة ، فَفُتِنَ بها ونزل ودخل عليها وسألها نفسها ؟ فقالت : هى نصرانية . فإن دخلت فى دينى تزوجت بك .. ففعل . فرقى فى ذلك اليوم على درجة عندهم ، فسقط منها ، فمات . ذكَر هذا « عبد الحق » فى كتاب العاقبة له .

وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أَرَوْهُ امرأة جميلة ، وأمروها أن تطمعه فى نفسها ، حتى إذا تمكن حُبها من قلبه ، بذلت له نفسها إن دخل فى دينها ، فــهنالك : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة إبراهيم ـ آية ٢٧) .

وفى العشق : من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة وظُلمه لنفسه ما فيه ، فكل منها ظالم لنفسه وصاحبه ، وظلمهما متعدٍ إلى الغير كما تقدم ، وأعظم من ذلك ظلمهما بالشِّرْك ، فقد تضمَّن العشق أنواع الظلم كلها .

والمعشــوق ، إذا لم يتق الله ، فـإنه يُعرِّض العـاشق للتلف ، وذلك ظلم منــه ، بأن يُطمعه فى نفسه ، ويتزين له ، ويستميله بكل طريق . حتى يستخرج منه ماله ونفعه ، ولا يُمكِّنه من نفسه ، لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه ، فهو يسومه سوء العذاب ، والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفى نفسه منه ، ولا سيما إذا جاد بالوِصَال لغيره .

وكم للعشق من قتيل من الجانبين .

وكم قد أزال من نعمة ، وأفقر من غنى ، وأسقط من مرتبة ، وشتت من شمل .

وكم أفســد من أهل الرجــل وولده ، فـإن المرأة إذا رأت بعْلها عاشــقاً لغيرهــا ، اتخذت هى معشوقاً لنفسها ، فيصير الرجل متردداً بين خراب بيته بالطلاق . وبين القيادة ، فمن الناس من يؤثر هذا .

ومنهم من يؤثر هذا .

فعلى العاقل أن يُحْكِمَ على نفسه سد باب عشق الصور ، لئلا يؤذيه ، ويؤديه ذلك إلى الهلاك ، وإلى هذه المفاسد ، أو أكثرها أو بعضها .

فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه ، والمغرور بها ، فإذا هلكت فهو الذى أهلكها ، فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه ، وطمعه فى وصاله .. لم يتمكن عشقه من قلبه .

فإن أول أسباب العشق الاستحسان ، سواء تولّد عن نظر أو سماع .

فإن لم يقارنه طمع فى الوصال ، وقارنه الإياس من ذلك . لم يحدث له العشق .

فإن اقترن به الطمع ، فصرفه عن فكره ، ولم يشغل قلبه به . لم يحدث له ذلك .

فإن أطاع مع ذلك الفكر فى محاسن المعشوق ، وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله ، إما خوف دينى ، كخوف النار وغضب الجبار ، واجتناب الأوزار ، وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق .

فإن فاته هذا الخوف وقارنه خوف دنيوى كخوف إتلاف نفسه وماله ، وذهاب جاهه ، وسقوط مرتبته عند الناس ، وسقوطه من عين من يعز عليه ، وغلب هذا الخوف على داعى العشق دفعه ، وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه وأنفع له من ذلك المعشوق ، وقدّم محبته على محبة المعشوق .. اندفع عنه العشق .

فإذا انتفى ذلك كله ، أو غلب محبة المعشوق . لذلك .. انجذب إليه القلب بالكلية ، ومالت إليه النفس كل الميل .

* * *

(فوائد العشـق)

فإن قيل : قد ذكرتم آفات العشق ومضاره ومفاسده ، فهلاً ذكرتم منافعه وفوائـده التى من جملتها : رقـة الطبع ، وترويح النفس ، وخفتهـا ، وزوال تلفهـا ، ورياضتها ، وحملها على مكارم الأخلاق ، من الشجاعة والكرم ، والمروءة ، ورقة الحاشية ، ولطف الجانب .

وقد قيل « ليحيى بن معاذ الرازى » : إن ابنك قد عشق فلانة .

فقال : الحمد لله الذى صيّره إلى الطبع الآدمى .

وقال بعضهم : العشق : داء أفئدة الكرام .

وقال غيره : العشق لا يصلح إلا لذى مروءة ظاهرة ، وخليقة طاهرة ، أو لذى لسان فاضل ، وإحسان كامل ، أو لذى أدب بارع ، وحسب ناصع .

وقال آخر: العشق يثبّت الجبانَ ، ويصفى ذهن الغبى ، ويسخى كف البخيل ، ويـذل عزة الملوك ، ويسكن نوافر الأخلاق ، وهو أنيس من لا أنيس له ، وجليس من لا جليس له .

وقال آخر : العشق يزيل الأثقال ، ويلطف الروح ، ويصفى كدر القلب ، ويوجب الارتياح لأفعال الكرام ، كما قيل :

سيـهلك فى الدنيا شفـيق عليكم ... إذا غـاله من حـادث الحب غـائله
كـريم يمـيت السـر ، حـتى كـأنه ... إذا استـفـهـموه عن حـديثك جـاهله
يود بأن يمـسى سـقـيـمًا لعلهـا ... إذا سـمـعت عنه بشكوى تراسله
ويهـتـز للمـعـروف فى طلب العُلا ... لتـحـمـد يومًا عند ليلى شـمـائله

فالعشق يحمل على مكارم الأخلاق .

وقال بعض الحكماء : العشق يروض النفس ، ويهذب الأخلاق ، إظهاره طبعى ، وإضماره تكلفى .

وقال الآخر : من لم تبتهج نفسه بالصوت الشجى ، والوجه البهى .. فهو فاسد المزاج ، يحتاج إلى علاج ، وأنشد فى ذلك المعنى :

إذا أنت لم تعشق ، ولم تدرِ ما الهوى فما لك فى طيب الحياة نصيب

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ، ولم تدرِ ما الهوى فقم واعتلف تبناً ، فأنت حمار

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ، ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

وقال بعض العشاق أولى العفة والصيانة : العشاق إذا عفّوا ، تشرّفوا .. وإذا عشقوا ، تظرّفوا .

وقيل لبعض العشاق : ما كنت تصنع بمن تهوى لو ظفرت به ؟

فقال : كنت أمتع طرفى بوجهه ، وأروح قلبى بذكره وحديثه ، وأستر منه ما لا أحب كشفه ، ولا أصير بقبيح الفعل إلى ما ينقض عهده . ثم أنشد :

أخلو به ، فأعف عنه تكرماً خوف الديانة لست من عشاقه
كالماء فى يد صائم يلتذه ظمأ .. فيصبر عن لذيذ مذاقه

وقال « أبو إسحاق بن إبراهيم » : أرواح العشاق عطرة لطيفة . وأبدانهم رقيقة خفيفة ، نزهتهم المؤانسة ، وكلامهم يحيى موات القلوب ، ويزيد فى العقول . ولولا العشق لبطل نعيم الدنيا .

وقال آخر : العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان ، إن تركته : ضرك ، وإن أكثرت منه : قتلك . وفى ذلك قيل :

خليلى : إن الحب فيه لذاذة وفيه شقاء دائم وكروب
على ذاك ما عيش يطيب بغيره ولا عيش إلا بالحبيب يطيب
ولا خير في الدنيا بغير صبابة ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وذكر « الخرائطى » عن « أبى غسان » قال : مرّ « أبو بكر الصديق » رضى الله عنه بجارية وهى تقول :

وهويته من قبل قطع تمائمى متمايلاً مثل القضيب الناعم

فسألها : أحرة أنت أم مملوكة ؟ .

فقالت . بل مملوكة .

فقال : أتهوين ؟ .

(فتلكأت فأقسم عليها) .

فقالت :

وأنا التى لعب الهوى بفؤادها قُتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها إلى « محمد بن القاسم بن جعفر ابن أبى طالب » فقال : هؤلاء والله فِتَنُ الرجال وكم والله قد مات بهن كريم ، وعطب بهن سليم .

وجاءت جارية إلى « عثمان بن عفان » رضى الله عنه تستدعى على رجل من الأنصار ، فقال لها « عثمان » : ما قصتك ؟ .

قالت : كَلِفتُ يا أمير المؤمنين بابن اخيه ، فما أنفك أداعبه .

فقال له « عثمان » : إما أن تهبها إلى ابن أخيك ، أو أعطيك ثمنها من مالى .

فقال : اشهد يا أمير المؤمنين أنها له .

* * *

من أضرار العشق

ونحن لا ننكر فساد العشق الذى يتعلق به فعل الفاحشة بالمعشوق ، وإنما الكلام فى العشق العفيف . من الرجل الظريف ، الذى يأبى له إيمانه ودينه وعفته ومروءته أن يفسد ما بينه وبين الله ، وما بينه وبين معشوقه بالحرام ، وهذا عشق السلف الكرام والأئمة الأعلام .

فهذا « عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » أحد الفقهاء السبعة .. عشق حتى اشتهر أمره ، ولم ينكر عليه ، وعدّ ظالماً من لامه ، ومن شعره :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم ... ولامك أقوامه ، ولومهم ظلم
فنَمّ عليك الكاشحون وقبلهم ... عليك الهوى قد نَمّ ، ما ينفع الكتم
فأصبحت كالنمرى إذا مات حسرة ... على أثر هند أو كمن شفّه سقم
تجنبت إتيان الحبيب تأثماً ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فذُق هجرها ، قد كنت تزعم أنه ... رشاد ، ألا يا ربما كذب الزعم

* * *

وهذا « عمر بن عبد العزيز » وعشقه لجارية امرأته « فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان » ، وقصته مشهورة ، وكانت جارية بارعة الجمال ، وكان معجباً بها ، وكان يطلبها من امرأته ويحرص على أن تهبها له فتأبى ، ولم تزل الجارية فى نفس « عمر » .

فلما استُخلف .. أمرت « فاطمة » بالجارية فأصلحت ، وكانت مثلاً فى حُسنها وجمالها ، ثم دخلت على « عمر » ، وقالت : يا أمير المؤمنين إنك كنت معجباً بجاريتى فلانة ، فسألتنى أن أهبها لك ، فأبيتُ عليك ، والآن فقد طابت نفسى لك بها .

فلما قالت له ذلك .. استبان الفرح فى وجهه . وقال : عجِّلى بها علىّ .

فلما دخلت بها عليه .. ازداد بها عجباً . وقال لها : ألقى ثيابك .

ففعلت . ثم قال لها : على رسلك ، أخبرينى لمن كنت ؟ ومن أين صرت لفاطمة ؟ .

فقالت : أغرم « الحجاج » عاملاً له بالكوفة مالاً ، وكنت فى رقيقه ذلك .

قالت : فأخذنى وبعث بى إلى « عبد الملك » فوهبنى لفاطمة .

قال : وما فعل ذلك العامل .

قالت : هلك .

قال : وهل ترك ولداً ؟ .

قالت : نعم .

قال : فما حالهم ؟ .

قالت : سيئة .

قال : شدّى عليك ثيابك ، واذهبى إلى مكانك ! ..

ثم كَتَب إلى عامله على العراق : أن ابعث إلى فلان بن فلان على البريد .

فلما قَدِم قال له : ارفع إلىّ جميع ما أغرمه « الحجاج » لأبيك .

فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية فدُفعت إليه ، ثم قال له : إياك وإياها . فلعل أباك قد وقع بها .

فقال الغلام : هى لك يا أمير المؤمنين .

قال : لا حاجة لى بها .

قال : فابتعها منّى .

قال : لست إذًا ممن نهى نفسه عن الهوى .

فلما عزم الفتى على الانصراف قالت : أين وجدك بى يا أمير المؤمنين ؟ .

قال : على حاله ، ولقد زاد بى .

ولم تزل الجارية فى نفس « عمر » حتى مات رحمه الله .

* * *

وهذا « أبو بكر محمد بن داود الظاهرى » العالِم المشهور فى فنون العلم من الفقه والحديث والتفسير والأدب ، وله قول فى الفقه ، وهو من أكابر العلماء ، وعشقه مشهور .

قال « نفطويه » : دخلت عليه فى مرضه الذى مات فيه فقلت : كيف تجدك ؟ .

قال : حُب من تَعْلم أورثنى ما ترى .

فقلت : وما يمنعك من الاستمتاع به مع القُدرة عليه ؟ .

فقال : الاستمتاع على وجهين :

أحدهما : النظر المباح ، والآخر : اللذة المحظورة . فأما النظر المباح فهو الذى أورثنى ما ترى وأما اللذة المحظورة ، فيمنعنى منها ما حدَّثنى أبى حدثنا سُوَيْد بن سعيد حدثنا على بن مسهر عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه : « مَنْ عَشِق وكَتَم وعفَّ وَصَبَر غَفَر الله له وأدخله الجنة » ثم أنشد :

انظر إلى السحر يجرى من لواحظه وانظر إلى دعج فى طرفه الساجى
وانظر إلى شعرات فوق عارضه كأنهن نمال دب فى عاج

ثم أنشـد :

مـالهم أنكروا سـوداً بخـديه ... ولا ينكرون ورد الغـصـون ؟
إن يكن عـيب خـده أن بدا شعـر ... فـعيب العيـون شعـر الجفـون !

فقالت له : نفيت القياس فى الفقه ، وأثبته فى الشعر ؟ .

فقال : غلبة الوجد ، وملكة الوجه .. النفس دعت إليه .

ثم مات من ليلته ، وبسبب معشوقه .. صنف كتاب (الزهرة) .

ومن كلامه فيه : « من يئس ممن يهواه ، ولم يمت من وقته : سـلاه » .

وذلك أن أول روعات النفس تأتى القلب وهو غير مستعد لها .. فأما الثانية فإنها تأتى القلب وقد وطأت لها الروعة .

والتقى هو و « أبو العبـاس بن سريج » فى مجلس « أبى الحسن على بن عيسى » الوزير .. فتناظرا فى مسألة من الإيلاء ، فقـال لـه « ابن سريج » : أنت بأن تقول : من دامت لحظاته كثرت حسراته .. أحْذَق منك بالكلام على الفقه .

فقال : كان ذاك . أما الآن فإنى أقول : .

أنزه فى روض المحـاسن مقلتى ... وأمنع نفسى أن تَنال محـرمـا
وأحـمل من ثقل الهـوى مـا لو أنه ... يصب على الصخـر الأصم تهـدمـا
وينطق طرفى عن مـترجم خـاطرى ... فلولا اخـتلاس وُده لتكلمـا
رأيت الهـوى دعـوى من الناس كلهم ... فلست أرى وداً صـحـيحاً مسلمـا

فقال له « أبو العباس بن سريج » تفخر علىَّ ؟ ولو شئت لقلت :

مطاعـمـه كـالشـهـد فى نغـمـاته ... قـد بت أمنعـه لـلذيذة سناته
ـبابة بحـسنه وجـديتـه ... وأنـزه الـلحـظـات عـن وجـنـاتـه
ـى إذا مـا الصبح لاح عـموده ... ولّى بخـاتم ربـه وبراتـه

فقال « أبو بكر » : يحفظ عليه الوزير ما أقرَّ به ، حتى يقيم شاهدين على أنه ولّى بخاتم ربه وبراءته .

فقال : « ابن سريج » : يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك :

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تَنال محرما

فضحك الوزير ، وقال : لقد جمعهما لطفاً وظرفاً .

ذكر ذلك « أبو بكر الخطيب » في (تاريخه) وجاءته يوماً فُتْيا مضمونها :

يا ابن داود ، يا فقيه العراق أفتنا من فواتر الأحداق
هل عليها بما أتت من جناح أم حلال لها دم العشاق ؟

فكتب تحت البيتين بخطه :

عندي جواب سائل العشاق فاسمعه من قرح الحشا مشتاق
لما سألت عن الهوى هيجتني وأرقت دمعاً لم يكن بمراق
إن كان معشوقاً يعذب عاشقاً كان المعذب أنعم العشاق

قال صاحب كتاب (منازل الأحباب) : « شهاب الدين محمود بن سليمان بن مهدى » صاحب كتاب الإنشاء : وقلت في جواب البيتين على قافيتهما مجيباً للسائل :

قل لمن جاء سائلاً عن لحاظ هل يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في العدا من جناح إن ثنى الحد عن دم مهراق
وسيوف اللحاظ أولى بأن تصـ ـفح عما جنت على العشاق
إنما كل من قتلتم شهيد ولهذا يفنى فنا وهو باق

ونظير ذلك فتوى وردت على « الشيخ أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني » شيخ الحنابلة في وقته رحمه الله :

قُل للإمــام أبى الخطاب مســألة | جــاءت إليك ومـا يُرجى ســواك لهـا
مــاذا على رجــل رام الصــلاة فَمُــد | لاحت لناظره ذات الجمــال لهــا [1]

فأجابه تحت سؤا .

قُل للأديب الذى وافى بمســـــألة | ســرت فــؤادى لمــا أن أصـخت لهـا
إن التى فــتـنتـــه عن عــبــادته | خــريدة ذات حُسْن فــالنى ولهــا
إن تاب ثــم قــضى عنه عـبــادته | فــرحمــة الله تغشى من عـصى ولهـا

وقال « عبد الله بن معمر القيسى » . حججت سنة ثم دخلت ذات ليلة مسجد المدينة لزيارة النبى ﷺ ، فبينما أنا جالس بين القبر والمنبر ، إذ سمعت أنيناً فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

أشـــجـــاك نوح حــمائم الســدر | فـــأهجن منك بلابل الصـــدر
أم عــز نومك ذكــر غــانيــة | أهدت إليك وســـاوس الفكر
يــاليــلــة طــالت على دنف | يشكو السـهــاد وقلة الصبــر
أسلمت من تهــوى لحــر جــوى | متــوقــد كــتــوقــد الجــمــر
فــالبــدر يشــهــد أننى كَلِف | أصلى بحب شــبــيــهــة البــدر
مــا كنت أحـســبنى أهيم بهــا | حــتى بليت ، وكنت لا أدرى

ثم انقطع الصوت ، فلم أدرِ من أين جاء ، وإذا به قد عاد البكاء والأنين .. ثم أنشد يقول :

أشــجــاك من ريا خــيــال زائــر | والليل مــســود الذوائب عــاكــر
واعــتـاد مـهـجـتك الهوى برشيشه | واهتــاج مـقـلتك الخـيـال الزائر
ناديت ريًـا والظلام كــأنــه | يَم تلاطم فــيــه مــوج زاخــر
والبــدر يســرى فى الســمــاء كـأنه | ملك ترجل والنجــوم عــســاكــر
وترى به الجـــوزاء ترقص فى الدجى | رقص الحــبــيب عــلاه سكر طاهر

(١) من اللهو أى شُغل عن الصلاة .

يا ليل ، طلت على محب ماله — إلا الصباح مساعد ومؤازر
فأجابنى : مُت حتف أنفك واعلمن — أن الهوى لهو الهوان الحاضر

قال : وكنت ذهبت عند ابتدائه بالأبيات فلم ينتبه إلا وأنا عنده ، فرأيت شاباً مقتبلّ شبابه ، قد خرق الدمع فى خده خرقين ، فسلمت عليه فقال : اجلس مَنْ أنت ؟ .

فقلت : عبد الله بن القيسى .

قال : ألك حاجة ؟ .

قلت : نعم . كنت جالسًا فى الروضة فما راعنى إلا صوتك ، فبنفسى أفديك ، فما الذى تجده ؟ .

فقال : أنا « عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى » غدوت يوماً إلى مسجد الأحزاب ، فصليت فيه .. ثم اعتزلت غير بعيد . فإذا بنسوة قد أقبلن يتهادين مثل القطار ، وإذا فى وسطهن جارية بديعة الجمال ، كاملة الملاحة ، فوقفت علىّ ، وقالت : « يا عتبة ، ما تقول فى وصل من يطلب وصلك » ؟.

ثم تركتنى وذهبت ، فلم أسمع لها خبراً ، ولم أقف لها على أثر .. فأنا حيران ، أنتقل من مكان إلى آخر .

ثم انصرع وأكب مغشياً عليه ، ثم أفاق كأنما صبغت وجنتاه بورس (١) ثم أنشد يقول :

أراكم بقلبى ، من بلاد بعيدة — فيا هل تروْلى بالفؤاد على بعدى ؟
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم — وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم — ولو كنت فى الفردوس من جنة الخلد

(١) نبت أصفر ، يعرف الآن بالكركم ..

فقلت : يا ابن أخى .. تُبْ إلى ربك ، واستغفره من ذنبك ، فبين يديك هول المطلع .

فقال : ما أنا بسالٍ حتى يذوب العارضان ، فلم أزل معه حتى طلع الصباح .

فقلت : قُم بنا إلى مسجد الأحزاب ، فلعل الله أن يكشف كربتك ..

فقال : أرجو ذلك إن شاء الله ببركة طاعتك .

فذهبنا حتى أتينا مسجد الأحزاب فسمعته يقول :

يا للرجـــال ليـــوم الأربعـــاء أمـــا ... ينفك يحـــدث لى بعـــد النهى طربا
مـــا أن يزال غـــزال فـــيك يقلقنى ... يأتى إلى مـــسجـــد الأحـــزاب منتـــقـبـــا
يخـــبـــر الناس أن الأجـــر همـــتـــه ... ومـــا أتى طالبًا للأجـــر مـــحـــتـــسـبـــا
لو كـــان يبـــغى ثوابًا مـــا أتى صلفًا ... مـــضـــمـــخًا بفتيت المـــسك مـــخـــتـــضـبـــا

ثم جلسنـــا حتى صلينا الظهر .. فـــإذا بالنسوة قد أقبلن ، وليست الجـــارية فيهن . فوقفن عليه وقُلن له : يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاسفة بالك ؟ .

قال : وما بالها ؟ .

قلن : أخذها أبوها ، وارتحل بها إلى أرض السماوة .

فسألتهن عن الجارية ؟ .

فقُلن : هى « ريا بنت الغطريف السلمى » .

فرفع « عتبة » إليهن رأسه وقال :

خليلى ، ريا قـــد أجـــد بكورها ... وســـارت إلى أرض الســـمـــاوة عـــيـــرها
خليلى ، إنى قـــد عـــشـــيت من البكا ... فهل عند غيرى مقلة أستعيرها (١)

---

(١) العشى : ضعف البصر ..

فقلت له : إنى قد وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر ، ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى . فقُم بنا إلى مسجد الأنصار .

فقمنـــا وسرنا حتى أشرفنا على ملأٍ منهم ، فســـلمت فأحسـنوا الرد ، فقلت : أيها الملأ ما تقولون فى « عتبة » وأبيه ؟ .

قالوا : من سادات العرب .

قلت : فإنه قد رمى بداهية من الهوى ، وما أريد منكم إلا المساعدة إلى السماوة .

فقالوا : سمعا وطاعة .

فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بنى سليم ، فأُعلم الغطريف بنا ، فخرج مبادراً ، فاستقبلنا وقال : حُييتم يا كرام .

فقلنا : وأنت فحياك الله ، إنَّا لك أضياف .

فقال : نزلتم أكرم منزل .

فنادى : يا معشر العبيد .. أنزلوا القوم ، ففُرشت الأقطاع والنمارق ، وذُبحت الذبائح ، فقلنا : لسنا بذائقى طعامك حتى تقضى حاجتنا .

فقال : وما حاجتكم ؟ .

قلنا : نخطب عقيلتك الكريمة لعُتبة بن الحباب بن المنذر .

فقال : إن التى تخطبونها أمْرها إلى نفسها ، وأنا أدخل أخبرها .

ثم دخـل مغضباً على ابنتـه ، فقـالت : يا أبت مـالى أرى الغضـب فى وجهك ؟ .

فقال : قد ورد الأنصار يخطبونك منى .

فقالت : سادات كرام ، واستغفر لهم الرسول ﷺ فلمن الخطبة منهم ؟ .

قال : لعتبة .

قالت : والله لقد سمعت عن « عتبة » هـذا ، أنـه يَفى بمـا وعد ، ويدرك إذا قصد .

فقال : أقسمت لا أزوجك إياه أبدًا ، ولقد نَمَى إلىّ بعض حديثك معه .

فقـالت : ما كان ذلك ، ولكن إذ أقسـمت فـإن الأنصـار لا يردون ردًّا قبيحًا .. فأحسن لهم الرد .

فقال : بأى شىء ؟ .

قالت : أغلظ عليهم المهر ، فإنهم قوم يرجعون ولا يجيبون .

فقال : ما أحسن ما قلتِ .

فخرج مبادرًا عليهم ، فقال : إن فتاة الحى قد أجابت ، ولكنى أريد لها مهر مثلها ، فمن القائم به ؟ .

فقال عبد الله بن معمر : أنا ، فقل ما شئت .

فقال : ألف مثقال من الذهب ، ومائة ثوب من الأبراد ، وخمسـة أكرسة من عنبر .

فقال عبد الله : لك ذلك كله . فهل أجبت ؟ .

قال : نعم .

قـال عبد الله : فأنفذتُ نفرًا من الأنصار إلى المدينـة ، فأتـوا بجميع ما طلب ، ثم صُنعت الوليـمة فأقـمنا على ذلك أيامًا ، ثم قال : خذوا فتاتكم ، وانصرفوا مصاحبين ، ثم حملها فى هودج ، وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع والتحف ، فودعناه وسرنا حتى إذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة ، خرج

علينا خيل تريد الغارة أحسبها من سليم ، فحمل عليها « عتبة » ، فقتل منهم رجالاً ، وجندل منهم آخرين ، ثم رجع ، وبه طعنة تفور دمًا . فسقط إلى الأرض ، وأتانا نجدة ، فطردت الخيل عنا ، وقد قَضى « عتبة » نحبه ، فقلنا : واعتبتاه .. فسمعتنا الجارية ، فألقت نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وأنشدت :

تصبرت لا أنى صبرت ، وإنما ... أعلل نفسى أنها بك لاحقةْ
فلو أنصفت روحى لكانت إلى الردى ... أمامك من دون البرية سابقةْ
فما أحد بعدى وبعدك منصف ... خليلاً ، ولا نفس لنفس موافقةْ

ثم شهقت ، وقضت نحبها . فاحتفرنا لهما قبرًا واحدًا ، ودفناهما فيه ، ثم رجعت إلى المدينة فأقمت سبع سنين ، ثم ذهبت إلى الحجاز ووردت المدينة ، فقلت : والله لآتين قبر « عتبة » أزوره ، فأتيت القبر .. فإذا عليه شجرة عليها عصائب حمر ، وصفر . فقلت لأرباب المنزل : ما يقال لهذه الشجرة ؟ .

قالوا : شجرة العروسين .

* * *

(العشـق .. والشهـادة)

ولو لم يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد إلا الحديث الوارد بالحسـن من الأسـانيد ، وهو حديث سويد بن سعيـد عن على بن مسهر عن أبى يحيى القتاب عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه :

ـ « **من عشق وعف وكتم فمات فهو شـهيد** » .

ورواه سـويد أيضاً عن ابن مسهر عن هشـام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً . ورواه الخطيب عن الأزهـرى عن المعافى بن زكريـا عن عطية عن بن الفضل عن أحمـد بن مسـروق عنـه . ورواه الزبير بن بكار عن عبد العـزيز بن الماجشـون عن عبد العـزيز بن أبى حـاتم عن ابن أبى نجيح عن مجـاهد عن ابن عباس .

وهذا سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين ﷺ نظر إلى زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ فقال : « **سبحان مقلب القلوب** » وكانت تحت زيد ابن حارثة مولاه .... فلما همَّ بطلاقها قال له :

« **اتق الله ، وأمسكْ عليك زوجك** » .

فلما طلقها ، زوجها الله سبحانه من رسوله ـ ﷺ ـ من فوق سبع سموات . فكان هو وليها ، وولى تزويجهـا من رسـول الله ، ﷺ ، وعقد عقد نكاحها من فـوق عرشـه . وأنزل على رسوله ﷺ : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجـك واتق الله وتخـفى فى نفسـك ما الله مبديه وتخـشى النـاس والله أحق أن تخشاه** ﴾ . (سورة الأحزاب ـ آية ٣٧) .

وهذا « داود » نبى الله عليه السلام كان تحته تسعة وتسعون امرأة .. ثم أحب تلك المرأة وتزوجها وأكمل بها المائة[1] .

قال الزهرى : أول حُب كان فى الإسلام حُب « النبى » ﷺ لعائشة رضى الله عنها ، وكان مسروق يسميها : حبيبة رسول رب العالمين ﷺ .

وقال « أبو القيس » مولى « عبد الله بن عمرو » : أرسلنى « عبد الله ابن عمرو « إلى « أُم سَلَمة » أسألها : أكان رسول الله ﷺ يُقبّل أهله وهو صائم ؟ .

فقالت : لا .

فقال : إن « عائشة » رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يُقبّلها وهو صائم .

فقالت « أُم سلمة » رضى الله عنها : إن « النبى » ﷺ كان إذا رأى « عائشة » لم يتمالك نفسه عنها .

* * *

---

(١) قصة داود مع امرأة أوريا :

قصة داود مع امرأة أوريا التى يقال : إنه أحبها وتزوجها فأكمل بها عدد ما تحته من النساء مائة امرأة ، هذه القصة سبق للطبرى أن ضمَّنها كتابه ـ قبل ابن القيم ـ وهى باطلة .

الطبرى فى تفسيره

من عادة الطبرى أنه يذكر فى تفسيره الآية ما بلغه من الروايات عن الرسول وأصحابه والتابعين بأسانيده ليلقى التبعة على رواتها ، ويخلص من عهدتها ، فالعهدة ـ كما يقولون ـ على الراوى ، ومعلوم لدى أهل الحديث أن « من أسند فقد أحالك » أى حملك البحث عن رجال السند ، وأحالك على كتب الجرح والتعديل لتعرف حالهم وتقف على درجتهم .

وقد تضمن الطبرى أحاديث لا صحة لها ، والتهمة فى ذلك متجهة إلى بعض رجال السند دون الصحابة كما نبه على ذلك الحفاظ والمحدثون .

وذكر سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن أبيه ، قال : كان « إبراهيم » خليل الله يزوره « جبرائيل » فى كل يوم من الشام على البراق من شَغَفِه به ، وقلّة صبره عنه .

* * *

وذكر « الخرائطى » : أن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما اشترى جارية رومية ، فكان يحبها حباً شديداً ، فوقعت ذات يوم عن بغلة له ، فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ويُقبّلها ، وكانت تكثر من أن تقول له : يا بطرون .. أنت قالون : تعنى يا مولاى أنت جيد . ثم إنها هربت منه ، فوجَدَ عليها وجداً شديداً ، فقال :

قد كنت أحسبنى قالون فانصرفت ... فاليوم أعلم أنى غير قالون

* * *

قال « أبو محمد بن حزم » : وقد أحب من الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين كثير .

* * *

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين رأيت امرأة فعشقتها ، فقال : ذلك مالا يملك .

* * *

(العشق بين المدح والقدح)

فالجواب وبالله التوفيق :

أن الكلام فى هذا الباب لابد فيه من التمييز بين الواقع والجائز ، والنافع والضار ، ولا يستعجل عليه بالذم والإنكار ، ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة ، وإنما يتبين حكمه ، وينكشف أمره بذكر متعلقه ، وإلا .. فالعشق من حيث هو لا يُحمد ولا يُذم ، ونحن نذكر النافع من الحب والضار ، والجائز والحرام .

اعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلّها : محبة من جُبِلَتْ القلوب على محبته ، وفُطرت الخليقة على تأليهه ، وبها قامت الأرض والسموات ، وعليها فطر جميع المخلوقات ، وهى سر شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذى تُؤَلِّهُهُ القلوب بالمحبة والإجلال ، والتعظيم والذُّل والخضوع وتعبده .

والعبادة : هى كمال الحب مع كمال الخضوع والذل ، والشِّرْك فى هذه العبودية من أظلم الظُّلم الذى لا يغفره الله .

والله سبحانه يُحَب لذاته من سائر الوجوه ، وما سواه فإنما يُحَب تبعًا لمحبته ، وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة ، ودعوة جميع رسله صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، وفطرته التى فَطر عليها عباده ، وما ركَّب فيهم من العقول ، وما أسبغ عليهم من النعم ، فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها ، فكيف بمن كُل الإحسان منه ، وما بخلقه جميعهم من نعمه ، فمنه وحده لا شريك له ، كما قال تعالى :

(١٦ : ٣٥ وما بكم من نعمة فمن الله ـ الآية) .

وما تعرف به إلى عباده من أسمائه الحسنى وصفاته العُليا ، وما دلَّت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله وعظمته .

والمحبة لها داعيان : الجلال والجمال ، والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك ، فإنه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له ، والجمال كله منه ، فلا يستحق أن يُحَب لذاته من كل وجه سواه ، قال الله تعالى :

(٣ : ١٣ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

وقال تعالى :

(٥ : ٥٤ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ـ الآية) .

والولاية أصلها الحب ، فلا موالاة إلا بحُب ، كما أن العداوة أصلها البغض .. والله وَلِيّ الذين آمنوا ، وهم أولياؤه ، فهم يوالونه بمحبتهم له ، وهو يواليهم بمحبته لهم . فالله يوالى عبده المؤمن بحسب محبته له ، ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء ، بخلاف من والى أولياءه ، فإنه لم يتخذهم من دونه ، بل موالاته لهم من تمام موالاته تعالى .

وقد أنكر على من سوّى بينه وبين غيره فى المحبة ، وأخبر أن مَنْ فَعَل ذلك ، فقد اتخذ من دونه أنداداً . قال تعالى :

(٢ : ١٦٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبّاً لله) .

وأخبر عمن سوّى بينه وبين الأنداد فى المحبة أنهم يقولون فى النار لمعبوديهم :

(٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ : تالله إن كُنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) .

وبهذا التوحيـد فى المحبة أرسل الله سبحانه جميع رسله ، وأنزل جميع كتبه ، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم ، ولأجله خُلقت السموات والأرض والجنة والنار . فجعل الجنة لأهل هذا التوحيد ، والنار للمشركين به وفيه .

وقد أقسم النبى ﷺ أنه [١] : « **لا يؤمن عبد حتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين** » .

فكيف بمحبة الرب جل جـلاله ؟ وقال لعمر [٢] بن الخطاب رضى الله عنه : « **لا وحتى أكون أحب إليك من نفســك** » ، أى لا تـؤمن حتى تصل محبتك إلى هذه الغاية .

فإذا كان النبى ﷺ أولى بنا من أنفسنا بالمحبة ولوازمها ، أفليس الرب جل جلاله ، وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره أولى بمحبته وعبادته من أنفسهم ؟ وكل ما وصل منه إلى عبده المؤمن يدعوه إلى محبته ، وكراهة ما يكرهه .. فعطاؤه ومنعه ، ومعافاته وابتلاؤه ، وقبضه وبسطه ، وعدله وفضله . وإماتته وإحياؤه ، ولطفه وبره ، ورحمته وإحسانه ، وستره وعفوه ، وحلمه وصبره على عبده ، وإجابته لدعائه ، وكشف كربه ، وإغاثة لهفته ، وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه ، بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه ، كل ذلك داعٍ للقلوب إلى تأليهه ومحبته .

بل .. تمكينه عبده من معصيته ، وإعانته عليها ، وستره حتى يقضى وطره منها ، وكلاءته ، وحراسته له ، وهو يقضى وطره من معصيته ، وهو يعينه ويستعين عليها بنعمه من أقوى الدواعى إلى محبته .

---

(١) رواه البزار بمعناه .
(٢) رواه البخارى .

فلو أن مخلوقًا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك . لم يملك قلبه عن محبته ، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس ، مع إساءته ؟ فخيره إليه نازل ، وشرّه إليه صاعد ، يتحبب إليه بنعمه وهو غنى عنه ، والعبد يتبغض إليه بالمعاصى وهو فقير إليه .

فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته ، ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه .

فألأم اللؤم تخلّف القلوب عن محبة من هذا شأنه ، وتعلقها بمحبة سواه .

وأيضاً فكل من تحبه من الخلق ، أو يحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منك ، والرب سبحانه وتعالى يريدك لك ، كما فى الأثر الإلهى :

ـ « **عبدى كُل يريدك لنفسه ، وأنا أريدك لك** » .

فكيف لا يستحى العبد أن يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه ، مشغول بحب غيره ، وقد استغرق قلبه فى محبة ما سواه ؟ .

وأيضاً فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك ، ولا بد له من نوع من أنواع الربح ، والرب تعالى إنما يعاملك لتربح أنت عليه أعظم الربح وأعلاه ، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضِعْف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة بواحدة وهى أسرع شىء محواً .

وأيضاً .. فهو سبحانه خلقك لنفسه وكل شىء خُلق لك فى الدنيا والآخرة ، فمن أولى منه باستفراغ الوسع فى محبته ، وبذل الجهد فى مرضاته ؟ .

وأيضا فمطالبك ، بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه ، وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، ويعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يأمله ، يشكر على القليل من العمل وينميه ، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ، ويسأله من فى

السموات والأرض كل يوم هو فى شأن ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا يغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحّين ، بل يحب الملحين فى الدعاء ويحب أن يُسأل ويغضب إذا لم يُسأل . فيستحى من عبده حيث لا يستحى العبد منه ، ويستره حيث لا يستر نفسه ، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه ، دعاه بنعمته وإحسانه ، وناداه إلى كرامته ورضوانه فأبى، فأرسل رُسُلَه ـ صلوات الله عليهم ـ فى طلبه ، وبعث معهم إليه عهده .. ثم نزل سبحانه بنفسه وقال [1] :

ـ « **من يسألنى فأعطيه .. من يستغفرنى فأغفر له** » .

أدعوك للوصل فتأبى أبعث رسلى فى الطلب ، أنزل إليك بنفسى ، ألقاك فى النوم .

وكيف لا تحب القلوب من لا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب بالسيئات إلا هو ، ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ، ويغفر الخطيئات ، ويستر العورات ويكشف الكربات ، ويغيث اللهفات ، وينيل الطلبات سواه ؟ فهو أحق من ذُكر ، وأحق من شكر ، وأحق من حمد ، وأحق من عبد ، وأنصر من ابتغى ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، وأرحم من استرحم ، وأكرم من قصد ، وأعز من التجىء إليه ، وأكفى من توكل عليه ، أرحم بعبده من الوالدة بولدها ، وأشد فرحًا بتوبة عباده التائبين من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة فوجدها .

وهو الملك فلا شريك له ، والفرد فلا ندّ له ، كل شىء هالك إلا وجهه ، لن يُطاع إلا بإذْنِه ، ولن يُعصى إلا بعِلْمِه ، يطاع فيشكر ، وبتوفيقه

---

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى ومالك عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له . من يسألنى فأعطيه . من يستغفرنى فأغفر له » .

ونعمته أطيع ، ويعصى فيغفر ، ويعفو وحقه أضيع ، فهو أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، وأوفى وفى بالعهد ، وأعدل قـائم بالقسط ، حـال دون النفـوس ، وأخـذ بالنواصى ، وكتب الآثـار ، ونسخ الآجـال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، والعلانية والغيوب لديه مكشوف ، وكل أحد إليه ملهوف ، وعَنَتِ الوجوه لنور وجهه ، وعجزت القلوب عن إدراك كنهه ، ودلّت الفطرة والأدلة كلها على امـتناع مثله وشـبـهـه ، أشرقت لنور وجـهـه الظلمـات ، واسـتنارت له الأرض والسموات ، وصلحت عليه جميع المخلوقات ، لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه : النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

مـا اعـتـاض باذل حـبـه لسـواه من عـوض ولو ملَكَ الوجـود بأسـره

* * *

فصـــل

وههنا أمر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به ، وهو أن كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين :

أحـدهما : كمال المحبوب فى نفسه وجماله ، وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه .

والأمـر الثـانى : كمال محبته ، واستفراغ الوسع فى حبه ، وإيثار قُربه ، والوصول إليه على كل شيء .

وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوّته ومحبته ، فكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة المحبة أكمل ، فلذة من اشتد ظمؤه بإدراك الماء الزلال ، ومن اشتد جوعه بأكل الطعام الشهى أكمل ، ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة إرادته ومحبته .

فإذا عرفت هذا .. فاللذة والسرور والفرح أمر مطلوب فى نفسه ، بل هو مقصود لكل حى وعاقل ، وإذا كانت اللذة مطلبة فى نفسها ، فهى تذم إذا أعقبت ألما أعظم منها ، أو منعت لذة خيراً منها وأجلّ ، فكيف إذا أعقبت أعظم الحسرات ، وفوتت أعظم اللذات والمسرات ، وتحمد إذا أعانت على لذة عظيمة دائمة مستمرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه ما ، وهى لذة الآخرة ونعيمها ، وطيب العيش فيها ، قال تعالى :

(٨٧ : ١٦ ، ١٧ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خيرٌ وأبقى) .

وقال السحرة لفرعون لما آمنوا :

(٢٠ : ٧٢ فاقضِ ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) ـ الآية ..

والله سبحانه وتعالى خلق الخلق لينيلهم ، وينيل من أطاعه هذه اللذة الدائمة فى دار الخُلد ، وأما الدنيا فمنقطعة ، ولذاتها لا تصفو أبدًا ولا تدوم . بخلاف الآخرة ، فإن لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر وألم . وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين مع الخلود أبدًا ، ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ ، بل فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهذا المعنى الذى قصده الناصح لقومه بقوله :

(يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار) ٣٨ ، ٣٩ : ٤٠ .

فأخبرهم أن الدنيا متاع يستمتع بها إلى غيرها ، وأن الآخرة هى المستقر .

وإذا عرفت أن لذّات الدنيا متاع ، وسبيل إلى لذات الآخرة ، ولذلك ما خُلقت الدنيا لذاتها ، فكل لذة أعانت على لذة الآخرة ، وأوصلت إليها .. لم يذم تناولها ، بل يحمد بحسب إيصالها إلى لذة الآخرة .

وإذا عرف هذا ، فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها : هو النظر إلى وجه الله جل جلاله ، وسماع كلامه والقُرب منه ، كما ثبت فى الصحيح فى حديث الرؤية :ـ « **فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه** » .

وفى حديث آخر : « **أنه إذا تجلّى لهم ورأوه ، نسوا ما هُمْ فيه من النعيم** » [١] .

وفى النسائى ، ومسند الإمام أحمد من حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى دعائه :

ـ « **وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك** » .

---

(١) رواه البزار عن جابر بمعناه .

وفى كتاب « السُّنَّة » لعبد الله ابن الإمام أحمد مرفوعًا :

ـ « **كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن من الرحمن ، فإذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك** » .

فإذا عرف هذا .. فأعظم الأسباب التى تحصل هذه اللذة هى أعظم لذات الدنيا على الإطلاق ، وهى لذة معرفته سبحانه ، ولذة محبته .. فإن ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالى ، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة فى بحر . فإن الروح والقلب والبدن إنما خُلقت لذلك .

فأطيب ما فى الدنيا : معرفته سبحانه ، ومحبته ، وألذ ما فى الجنة : رؤيته ومشاهدته .

فمحبته ومعرفته : قرة العيون ، ولذة الأرواح ، وبهجة القلوب ، ونعيم الدنيا وسرورها ، واللذة القاطعة عن ذلك تنقلب آلامًا وعذابًا ، ويبقى صاحبها فى المعيشة الضنك ، فليست الحياة الطيبة إلا بالله .

وكان بعض المحبين تَمُرُّ به أوقات ، يقول فيها : إن كان أهل الجنة فى نعيم مثل هذا ، إنهم لفى عيش طيب .

وكان غيره يقول : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التى هى عذاب قلب المحب يقول فى حاله :

وما الناس إلا العاشقون دور الهوى ... فلا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال آخر :

أفٍّ للدنيا متى ما لم يكن ... صاحب الدنيا محبًا أو حبيبًا

ويقول الآخر :

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها   وأنت وحيد مفرد غير عاشق

ويقول الآخر :

اسكن إلى سكن تلذ بحبه   وصب الزمان وأنت منفرد

ويقول الآخر :

ويشكى المحبون الصبابة ، ليتنى   تحملت ما قالوه من بينهم وحدى
فكانت لقلبى لذة الحب كلها   فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

فكيف بالمحبة التى هى حياة القلوب وغذاء الأرواح ، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها ، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين ، إذا فقدت نورها ، والأُذُن إذا فقدت سمعها ، والأنف إذا فقد شمه واللسان إذا فقد نطقه ، بل فساد القلب إذا خلا من فاطره وبارئه إلهه الحق ، أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح ، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فى قلبه حياة ، وما لجرح بميت إيلام .

والمقصود : أن أعظم لذات الدنيا هى السبب الموصل إلى أعظم لذة فى الآخرة ، ولذات الدنيا ثلاثة أنواع :

فأعظمها وأكملها ، ما أوصل إلى لذة الآخرة ، ويُثاب الإنسان على هذه اللذة أتم ثواب ، ولهذا كان المؤمن يُثاب على كل ما يُقصد به وجه الله من أكله وشربه ولبسه ونكاحه ، وشفاء غيظه بقهر عدو الله وعدوه ، فكيف بلذة إيمانه ومعرفته بالله ، ومحبته له وشوقه إلى لقائه ، وطمعه فى رؤية وجهه الكريم فى جنات النعيم ؟ .

النوع الثانى : لذة تمنع لذة الآخرة ، وتعقب آلاماً أعظم منها ، كلذة الذين اتخـذوا من دون الله أوثـاناً مودة بينهم فى الحياة الدنيا ، يحبونهم كحب الله ، ويستمتع بعضهم ببعض ، فإنهم يقولون فى الآخرة إذا لقوا ربهم :

(٦ : ١٢٨ ، ١٢٩ ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجّلت لنا ـ الآية إلى قوله ـ يكسبون) .

ولذة أصحاب الفواحش والظلم والبغى فى الأرض والعلو بغير الحق ، وهذه اللذات فى الحقيقة إنما هى استدراج من الله لهم ليذيقهم بها أعظم الآلام ، ويحرمـهم بهـا أكـمل اللذات ، بمنزلة من قدّم لغيره طعاماً لذيذاً مسمـوماً يستدرجـه به إلى هلاكه قال تعالى :

(٧ : ١٨٢ ، ١٨٣ سنستدرجهم من حيث لا يعلمـون * وأملى لهم إن كيدى متين) .

قال بعض السلف فى تفسيرها : كلما أحدثوا ذنباً ، أحدثنا لهم نعمة :

(٦ : ٤٤ ، ٤٥ حتى إذا فرحـوا بمـا أوتـوا أخـذناهم بغـتة فـإذا هم مبلسـون * فَقُطِع دابرُ القوم الذين ظَلموا والحمد لله رب العالمين) .

قال تعالى لأصحاب هذه اللذة : **(٢٣ : ٥٥ ، ٥٦ أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون)** .

وقال فى حقهم : **(٩ : ٥٥ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا)** ـ الآية .

وهذه اللذة تنقلب آلاماً من أعظم الآلام كما قيل :

يارب كـائنة الحـيـاة لأهلهـا عـذباً ، فـصارت فى المـعاد عـذابا

النوع الثالث : لذة لا تعقب لذة فى دار القرار ، ولا ألمًا يمنع وصول لذة دار القرار ، وإن منعت كمالها ، وهذه اللذة المباحة التى لا يستعان بها على لذة الآخرة ، فهذه زمانها يسير ، ليس لتمتع النفس بها قدر ، ولابد أن تشغل العبد عما هو خير له وأنفع منها .

وهذا القسم هو الذى عناه النبى ﷺ بقوله [1] :- « **كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته ، فإنهن من الحق** » .

فما أعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق ، وما لم يعن عليها فهو باطل .

* * *

(١) روى الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل شىء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك .. فإنهن من الحق » مختصر ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم .

فصـــل

فهذا الحب لا يُنكر ولا يذم ، بل هو أحد أنواع الحب ، وكذلك حُب رسول الله ﷺ ، وإنما نعنى المحبة الخاصة ، وهى التى تشغل قلب المحب وفكره وذِكْره لمحبوبه ، وإلا فكل مسلم فى قلبه محبة لرسول الله ﷺ التى لا يدخل الإسلام إلا بها .

والناس متفاوتون فى درجات هذه المحبة تفاوتًا لا يحصيه إلا الله ، فبين محبة « الخليلين » صلى الله عليهما وسلم ، ومحبة غيرهما ما بينهما ، فهذه المحبة هى التى تلطف وتخفف أثقال التكاليف ، وتسخى البخيل ، وتشجع الجبان ، وتصفى الذهن ، وتروض النفس ، وتطيب الحياة على الحقيقة .. لا محبة الصور المحرمة .

وإذا بليت السرائر يوم اللقاء .. كانت سريرة صاحبها من خير سرائر العباد كما قيل :

سيبقى لكم فى مضمر القلب والحشا   سريرة حب يوم تبلى السرائر

وهذه المحبة هى التى تنور الوجه ، وتشرح الصدر ، وتحيى القلب ، وكذلك محبة كلام الله فإنها من علامة حُب الله ، وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله ، فانظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهى والغناء المطرب بسماعهم . فإنه من المعلوم أن من أحب حبيبًا كان كلامه وحديثه أحب شىء إليه ، كما قيل :

إن كنت تزعم حبى   فَلِمَ هَجَرْتَ كتابى ؟
أما تأملت ما فيه   من لذيذ خطابى ؟

وقال « عثمان بن عفان » رضى الله عنه : « **لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله** » .

وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه ؟ .

وقال «النبى» ﷺ يوماً لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه [1] : **اقرأ عليّ** .

فقال : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ .

فقال : **إنى أحب أن أسمعه من غيرى** .

فاستفتح ، فقرأ سورة النساء ، حتى إذا بلغ قوله : (٤ : ٤١ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**) قال : حسبك الآن .

فرفع رأسه ، فإذا عَيْنا رسول الله ﷺ تذرفان من البكاء .

وكان الصحابة إذا اجتمعوا ، وفيهم « أبو موسى » يقولون : يا أبا موسى .. اقرأ علينا ، فيقرأ ، وهم يستمعون .

فلمحبى القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور ، أضعاف ما لمحبى السماع الشيطانى .. فإذا رأيت الرجل ذوقه وشدة وجْده وطربه وشوقه إلى سماع الأبيات دون سماع الآيات ، وسماع الألحان دون سماع القرآن ، فهو كما قيل : تقرأ عليك الختمة وأنت جامد كالحجر . وبيت من الشعر ينشد فتميل كالنشوان ، فهذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه ، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان ، والمغرور يعتقد أنه على شىء .

ففى محبة الله وكلامه ومحبة رسول الله ﷺ أضعاف أضعاف ما ذكر السائل من فوائد (العشق) ومنافعه ، بل لا يحب على الحقيقة أنفع منه ، وكل حب سوى ذلك باطل ، إن لم يعن عليه ، ويسوق المحب إليه .

* * *

---

(١) رواه مسلم .

فصــل

وأما محبة النسوان ، فلا لوم على المحب فيها ، بل هى من كماله وقد مَنَّ الله سبحانه بها على عباده فقال :

(٣٠ : ٢١ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة) ـ الآية .

فجعل المــرأة سكنًا للرجل يسكُن إليهـا قلبـه ، وجعل بينهـما خـالص الحب ، وهو المودة المقترنة بالرحمة .

وقد قال تعالى عقيب ذكر ما أحل لنا من النساء وما حرم منهن :

(٤ : ٢٦ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سُنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ـ إلى قوله ـ وخُلق الإنسان ضعيفًا) .

وذكر « سفيان الثورى » فى تفسيره عن « ابن طاوس » عن أبيه « أنه ﷺ كان إذا نظر إلى النساء لم يصبر عنهن » .

وفى الصحيح من حديث « جابر » عن النبى ﷺ : « أنه رأى امرأة ، فأتى « زينب » فقضى حاجته منها ، وقال : « **إن المرأة تُقْبِل فى صورة شيطان ، وتُدْبِر فى صورة شيطان . فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته ، فليأت أهله . فإن ذلك يرد ما فى نفسه** » .

ففى هذا الحديث عدة فوائد :

منها : الإرشاد إلى التسلّى عن المطلوب بجنسه ، كما يقوم الطعام مكان الطعام ، والثوب مقام الثوب .

ومنها : الأمر بمداواة الإعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بأنفع الأدوية ، وهو قضاء وطرده من أهله ، وذلك ينقص شهوته بها ، وهذا كما أرشد المتحابين إلى النكاح كما في سُنن « ابن ماجه » مرفوعاً :

ـ « لم ير للمتحابين مثل الزواج » .

ونكاحه لمعشوقه هو داء العشق الذى جعله الله دواءه شرعاً وقدراً ، وبه تداوى نبى الله « داود » ﷺ ، ولم يرتكب نبى الله محرماً ، وإنما تزوج المرأة وضَمَّها إلى نسائه لمحبته لها ، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعُلُو مرتبته ، ولا يليق بنا المزيد على هذا .

وأما قصة « زينب بنت جحش » : فزيد كان قد عزّم على طلاقها ، ولم توافقه وكان يستشير رسول الله ﷺ فى فراقها ، وهو يأمره بإمساكها ، فعلم رسول الله ﷺ أنه سيفارقها ولابد ، فأخفى فى نفسه أن يتزوجها إذا فارقها « زيد » ، وخَشَى مقالة الناس : إن رسول الله ﷺ تزوج زوجة ابنه ، فإنه كان تبنّى زيداً قبل النبوة والرب تعالى يريد أن يشرع شرعاً عاماً فيه مصالح عباده ، فلما طلقها « زيد » وانقضت عدّتها منه ، أرسله إليها يخطبها لنفسه ، فجاء « زيد » ، واستدبر الباب بظهره ، وعظمت فىْ صدره لما ذكر رسول الله ﷺ ، فناداها من وراء الباب :

ـ « يا زينب إن رسول الله ﷺ يخطبك » .

فقالت : « ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربى » ، وقامت إلى محرابها فصلت .

فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله ﷺ بنفسه ، وعقد النكاح له من فوق عرشه ، وجاء الوحى بذلك :

(٣٣ : ٥٤ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) .

فقام رسول الله ﷺ لوقته ، فدخل عليها ، فكانت تفخر على نساء النبى ﷺ بذلك وتقول : « **أنتن زوجكن أهلوكن ، وزوجنى الله عز وجل من فوق سبع سموات** » .

فهذه قصة رسول الله ﷺ مع « زينب » .

ولا ريب أن النبى ﷺ حُبِّبَ إليه النساء كما فى الصحيح من حديث أنس ورواه النسائى فى سننه والطبرانى فى الأوسط عنه ﷺ قال : « **حُبِّبَ إلىَّ مِنْ دُنْياكُمْ : النِّساء والطِّيب ، وجعلت قُرَّة عينى فى الصَّلاة** » .

هذا لفظ الحديث ، لا ما يرويه بعضهم « حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم ثلاث » .. زاد الإمام أحمد فى كتاب الزهد فى هذا الحديث : « **أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن** » .

وقد حسده أعداء الله اليهود على ذلك وقالوا : ما همه إلا النكاح ، فرد الله سبحانه عن رسول الله ﷺ ونافح عنه فقال :

(٤ : ٥٤ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**) ـ الآية .

* * *

وهذا « خليل الله » إمام الحنفاء كان عنده « سارة » أجمل نساء العالمين ، وأحب « هاجر » ، وتسرَّى بها .

* * *

وهذا « داود » عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امرأة ، فأحب تلك المرأة وتزوجها فكمل المائة .

* * *

وهذا « سليمان » ابنه عليه السلام كان يطوف فى الليلة على تسعين امرأة .

* * *

وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه فقال :

ـ « عائشـــة رضى الله عنها » .

وقال عن خديجة : « إنى رُزِقْتُ حُبها » .

فمحبة النســاء من كمال الإنسان . قال ابن عباس : « خيــر هذه الأُمّة أكثرهم نســاء » .

وقد ذكر الإمام « أحمد » : أن « عبد الله بن عمر » وقع فى سهمه يوم جلولاء جـارية كان عنقها إبريق فضة . قال عبد الله : « فما صبرت عنها أن قبّلتها والناس ينظرون إلىّ » .

وبهذا احتج الإمام أحمد على جواز الاستمتاع بالمسبية قبل الاستبراء بغير الوطء ، بخلاف الأَمَة المشتركة .

والفرق بينهما أنه لا يتوهم انفساخ الملك فى المسبية . بخلاف المشتركة، فقد ينفسخ فيها الملك ، فيكون الملك ، فيكون مستمتعاً بأمَة غيره .

* * *

وقد شفع النبى ﷺ لعاشق أن يواصله معشوقه ، بأن يتزوج به فأبت . وذلك فى قصة « مغيث » و « بريرة » فإنه رآه يمشى خلفها بعد فراقها ودموعه تجرى على خديه ، فقال لها رسول الله ﷺ (١) : « لو راجعتيه » ؟ .

فقالت : أتأمرنى ؟ .

فقال : لا ، إنما أشفع .

(١) أخرجه الخمسة إلا مسلما .

فقالت : لا حاجة لى به .

فقال لعمه : **يا عباس ألا تعجب من حب « مغيث » « بريرة » ، ومن بُغضها له ؟** .

ولم ينكر عليه حبها ، وإن كانت قد بانت منه . فإن هذا ما لا يملكه .

* * *

وكان النبى ﷺ يساوى بين نسائه بالقسم ويقول [1] :

ـ « **اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما لا أملك ؟** » .

يعنى فى الحب ، وقد قال تعالى :

(**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ٤ : ١٢٩) .

يعنى فى الحب والجماع : ﴿ **فلا تميلوا كل الميل** ﴾ .

* * *

ولم يزل الخلفاء الراشدون الرحماء من الناس يشفعون للعشاق إلى معشوقيهم الجائز وصلهن ، كما تقدم من فعل « أبى بكر » و « عثمان » ، وكذلك « على » رضى الله عنه أتى بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل ، فقال له : ما قصتك ؟ .

قال : لست بسارق ولكنى أصدقك :

تعلقت فى دار الرياحى خريدة	يذل لها من حسن منظرها البدر
لها فى بنات الروم حسن ومنظر	إذا افتخرت بالحسن عانقها الفخر
فلما طرقت الدار من حب مهجتى	أتيت وفيها من توقدها الجمر
تبادر أهل الدار بى ثم صيحوا :	هو اللص محتوم له القتل والأسر

---

(١) أخرجه أصحاب السنن .

فلما سمع « على بن أبى طالب » رضى الله عنه قوله رَقَّ له ، وقال للمهلب ابن رباح : **اسمح له بها .**

فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْهُ مَنْ هو ؟ فقال : « **النهاس بن عيينة** » .

فقال : **خُذها فهى لك .**

* * *

واشترى « معاوية » جارية فأعجب بها إعجاباً شديداً ، فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى   طريراً وسيماً بعد ما طر شاربه

فسألها ، فأخبرته أنها تحب سيدها ، فردَّها إليه . وفى قلبه منها ما فيه .

* * *

وذكر الزمخشرى فى « ربيعة » أن « زبيدة » قرأت فى طريق مكة على حائط :

أما فى عباد الله أو فى إمائه   كريم يجلى الهم عن ذاهل العقل ؟
له مقلة أما المعِىّ فقريحة   وأما الحشا فالنار منه على رجل ؟

فنذرت أن تحتال لقائلها إن عرفته ، حتى تجمع بينه وبين من يحبه ، فبينما هى فى المزدلفة إذ سمعت من ينشد البيتين ، فطلبته ، فزعم أنه قالهما فى ابنة عم له نذر أهلها أن لا يزوجوها منه ، فوجهت إلى الحى . وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه ، وإذا المرأة أعشق له منها لها . فكانت تعده من أعظم حسناتها فتقول : ما أنا بشىء أُسرُّ منى من جمعى بين ذلك الفتى والفتاة .

* * *

وقال الخرائطى : كان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان ، فكتب الغلام يوماً :

ولقـــد رأيتك فى المنام كـــأنمـــا أســـقـــيـــتنى من مـــاء فيكِ البـــارد
وكـــان كـــفك فى يدى ، وكـــأننا بتنا جـــمـــيـــعًا فى فـــراشٍ واحـــد
فطفـــقت يومى كله مـــتـــراقـــدا لأراكِ فى نومى ، ولست براقـــد

فأجابته الجارية :

خـــيـــرًا رأيت ، وكل مـــا أبصـــرته ســـتناله منى برغم الحـــاســـد
إنى لأرجـــو أن تكون مـــعـــانقى وتبـــيـــت منى فـــوق ثدى ناهد
وأراك بين خـــلاخلى ودمـــالجى وأراك فـــوق ترائبى ومـــجـــاســـدى

فبلغ ذلك « سليمان » فأنكحها الغلام . وأحسن حالهما على فرط غيرته .

* * *

وقال جامع بن مرخية : سألت سعيد بن المسيب مفتى المدينة : هل على من أحب دهماء من وزر ؟ .

فقال سعيد : إنما تُلام على مـا تستطيع من الأمر .

ثم قـال سعيد : والله ما سألنى أحد عن هذا ، ولو سألنى ما كنت أجيبُ إلا به .

* * *

فعشق النسـاء ثلاثة أقسـام : عشـق هـو قُربة وطاعة ، وهو عشق الرجل امرأته وجاريته ، وهذا العشق نافع ، فإنه أدعى إلى المقاصد التى شرع الله لها النكاح ، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله ، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس .

وعشق هو مقت عند الله وبُعْد من رحمته ، وهو أضر شيء على العبد فى دينه ودنياه ، وهو عشق المردان : فما ابتلى به إلا من سقط من عين الله ، وطُرد

عن بابه ، وأبعد قلبه عنه ، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف : « إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان » وهذه المحبة هى التى جلبت لقوم لوط ما جلبته ، وما أتوا إلا من هذا العشق إذ قال الله تعالى :

(١٥ : ٧٢ لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) .

ودواء هذا الداء : الاستغاثة بمقلب القلوب وصدق اللجأ إليه ، والاشتغال بذكره ، والتعوض بحبه وقربه ، والتفكير بالألم الذى يعقبه هذا العشق ، واللذة التى تفوت به ، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب وحصول أعظم مكروه .

فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته فَلْيُكَبِّر على نفسه تكبير الجنازة وليعلم أن البلاء قد أحاط به .

والقسم الثالث من العشق : العشق المباح الذى لا يملك ، كعشق من صورت له امرأة جميلة ، أو رآها من غير قصد ، فأورثه ذلك عشقاً لها ، ولم يُحدث له ذلك العشق معصية ، فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه . والأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له منه ، والواجب على هذا أن يكتم ، ويعف ، ويصبر على بلواه ، فيثبته الله على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وإيثار مرضاة الله وما عنده .

* * *

(العشــاق ثلاثـة أقســام)

والعشاق ثلاثة أقسام : منهم من يعشق الجمال المطلق .

ومنهم من يعشق الجمال المقيد ، سواء طمع بوصاله ، أو لم يطمع .

ومنهم من لا يعشق إلا من طمع بوصاله . وبين هذه الأنواع الثلاثة تفاوت في القوة والضعف .

فعاشــق الجمال المطلق : يهيم قلبـه في كل واد ، وله في كل صـورة جميلة مـراد :

يومًا بحــزوى ويومًا بالعــقــيق وبالـــ ـــعــذيب يومًا ويومًا بالخليــصــاء
وتارة ينتــــحى نجــــدًا وأودية شعب العـقـيق وطورًا قـصـر تيـماء

فهذا عشقه أوسع ، ولكنه غير ثابت كثير التنقل :

يهــيم بهـــذا ثم يعـــشق غــيـــره ويسلاهم من وقـتـه حـين يصـبح

وعاشق الجمال المقيد أثبت على معشوقه ، وأدوم محبة له ، ومحبته أقوى من محبــة الأول لاجتماعهما في واحد ، ولكن يضعفهما عدم الطمع في الوصال .

وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشـاق وأعرفهم وحبـه أقـوى ، لأن الطمع يمده ويقويه .

* * *

فصـــل

وأما حديث « مَنْ عَشق وعَفّ » .. فهذا مما يرويه سويد بن سعيد ، وقد أنكره حافظ الإسلام عليه ، قال ابن عدى فى كامله : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد . وكذلك ذكره البيهقى ، وابن طاهر فى الذخـيرة والتذكرة ، وأبو الفرج ابن الجوزى وعده من الموضوعات ، وأنكره أبو عبد الله الحاكم على تساهله وقـال : أنا أتعجب منـه .

قلت : والصواب فى الحديث أنه من كلام ابن عباس رضى الله عنهما موقوفًا عليه ، فغلط سـويد فى رفعـه ، قـال أبو محمد بن خلف بن المرزبان : حدثنا أبو بكر بن الأزرق عن سويديه فعاتبته على ذلك ، فأسقط ذكر « النبى » ﷺ . وكان بعد ذلك يسأل عنه ولا يرفعه ، ولا يشبه هذا كلام النبوة .

وأما ما رواه الخطيب له عن الأزهرى حدثنا المعافى بن زكريا حدثنا قطبة ابن الفضل حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، حدثنا سويد بن سعيد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا . فمن أبين الخطأ . ولا يحمل مثل هذا عن هشـام عن أبيه عن عائشــة : من شم أدنى رائحة من العلم من الحديث . ونحن نشهد بالله أن عائشة ما تكلمت بهذا عن رسول الله ﷺ قط ، ولا حَدَّث به عنها عروة ، ولا حدث به هشام قط .

وأما حديث ابن الماجشون عن عبد الله بن حازم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعًا . فكذب على ابن الماجشون ، فـإنه لم يحـدِّث بهـذا . ولم يحدث به عنـه الزبيـر بن بكار ، وإنمـا هـذا من تركـيب بعض الوضاعين . ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الإسناد مثل هذا المتن ؟ فقبَّح الله الوضاعين .

وقد ذكره أبو الفرج ابن الجوزى من حديث محمد بن جعفر بن سهل : حدثنا يعقوب بن عيسى عن ولد عبد الرحمن بن عوف عن أبى نجيح عن مجاهد مرفوعا . وهذا غلط قبيح فإن محمد بن جعفر هذا هو الخرائطى ، ووفاته سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . فمحال أن يدرك شيخه يعقوب بن أبى نجيح . ولا سيما وقد رواه فى كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن أبى نجيح ، والخرائطى هذا مشهور بالضعف فى الرواية ذكره أبو الفرج فى كتاب الضعفاء .

وكلام حُفَّاظ الإسلام فى إنكار هذا الحديث هو الميزان ، وإليهم يرجع فى هذا الشأن . وما صححه ، بل ولا حسّنه أحد يعول فى علم الحديث عليه ، ويرجع فى التصحيح إليه ، ولا من عادته التساهل والتسامح ، فإنه لم يصف نفسه . ويكفى أن ابن طاهر الذى يتساهل فى أحاديث التصوف ، ويروى منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة ، قد أنكره وحكم ببطلانه .

نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه .

وقد ذكر أبو محمد بن حزم عنه : أنه سئل عن الميت عشقاً فقال :

ـ « **قتيل الهوى لا عقل له ، ولا قود** » . أى : لا دية ..

ورفع إليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ . فقال : ما شأنه ؟ .

فقالوا : العشق .

فجعل عامة يومه يستعيذ من العشق .

فهذا تفسير من قال : « من عشق وعف وكتم ومات فهو شهيد » .

ومما يوضح ذلك : أن « النبى » ﷺ عد الشهداء فى الصحيح ، فذكر «المقتول فى الجهاد» و «المبطون» و « الحريق » و « النفساء ، يقتلها ولدها » و « الغريق » و « صاحب الهدم » ، فلم يذكر منهم العاشق يقتله العشق .

وحسب قتيل العشق أن يصح له هذا الأثر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، على أنه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ، ويعف لله ، ويكتم لله . وهذا لا يكون إلا مع قدرته على معشوقه ، وإيثار محبة الله ورضاه ، وهذا أحق من دخل تحت قوله تعالى :

(٧٩ : ٤٠ ، ٤١ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى**) .

وتحت قوله تعالى :

(٥٥ : ٤٦ **ولمن خاف مقام ربه جنّتان**) .

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن آثر حبه ورضاه على هواه ، وابتغى بذلك قُربه ورضاه .. آمين يارب العالمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين آمين .

* * *

(العشق فى رأى ابن تيمية)

ويقول الشيخ تقى الدين بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) :

ـ الناس فى « العشق » على قولين :

قيل : إنه من باب الإرادات ، وهذا هو المشهور .

وقيل : من باب التصورات ، وإنه فساد فى التخييل ، حيث يتصور المعشوق على غير ما هو به .

قال هؤلاء : ولهذا .. لا يوصف الله بالعشق ، ولا أنه يُعْشَقُ ؛ لأنه منزه عن ذلك ، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالاً فاسداً ..

وأما الأولون ، فمنهم من قال : يوصف بالعشق ، فإنه المحبة التامة ، والله يُحِب ، ويُحَب .

وروى فى أثر عن « عبد الواحد بن زيد » أنه قال :

ـ « **لا يزال عبدى يتقرب إلىّ ، يعشقنى ، وأعشقه** » .

وهذا قول بعض الصوفية . والجمهور لا يُطلقون هذا اللفظ فى حق الله ، لأن « العشق » هو المحبة المفرطة ، الزائدة على الحد الذى ينبغى .

والله تعالى محبته لا نهاية لها ، فليست تنتهى إلى حد لا تنبغى مجاوزته .

قال هؤلاء : « والعشق » مذموم مطلقاً ، لا يمدح فى محبة الخالق ولا المخلوق ، لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحدود .

وأيضاً .. فإن لفظ « العشق » إنما يستعمل فى العُرف فى محبة الإنسان لامرأة أو صبى ، لا يستعمل فى محبة كمحبة الأهل والمال والجاه ، ومحبة الأنبياء والصالحين .

وهو مقرون كثيراً بالفعل المحرم : إما بمحبة امرأة أجنبية ، أو صبى يقترن به النظر المحرم ، واللمس المحرم ، وغير ذلك من الأفعال المحرمة .

وأما محبة الرجل لامرأته ، أو سريته (محبة) تخرجه عن العدل ، بحيث يفعل لأجلها ما لا يحل ويترك ما يحب ـ كما هو الواقع كثيراً ـ حتى يظلم ابنه من امرأته العتيقة لمحبته الجديدة ، وحتى يفعل من مطالبها المذمومة ما يضره فى دينه ودنياه ، مثل أن يخصها بميراث لا تستحقه ، أو يعطى أهلها من الولاية والمال ما يتعدى به حدود الله ، أو يسرف فى الإنفاق عليها ، أو يمكنها من أمور محرمة تضره فى دينه ودنياه .

وهذا فى عشق من يباح له وطؤها ، فكيف عشق الأجنبية والذكران من العالمين ، ففيه من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ، وهو من الأمراض التى تفسد دين صاحبها وعِرْضِه ، ثم قد تفسد عقله ثم جسمه .

قال تعالى (٣٢ الأحزاب) :

﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ﴾ .

ومن فى قلبه مرض الشهوة ، وإرادة الصورة متى خضع المطلوب طمع المريض ، والطمع يقوى الإرادة والطلب ، ويقوى المرض بذلك ، بخلاف ما إذا كان آيساً من المطلوب ، فإن اليأس يزيل الطمع ، فتضعف الإرادة ، فيضعف الحب .

فإن الإنسان لا يريد أن يطلب ما هو آيس منه ، فلا يكون مع الإرادة عمل أصلاً ، بل يكون حديث نفس ، إلا أن يقترن بذلك كلام أو نظر ، ونحو ذلك .

فأما إذا ابتلى بالعشق ، وعفَّ ، وصَبَرَ .. فإنه يُثاب على تقواه لله .

وقد روى فى الحديث : « أن من عشق ، فعف ، وكتم ، وصبر .. ثم مات .. كان شهيداً » .

وهو معروف من رواية « يحيى القتات » عن « مجاهد » عن « ابن عباس » مرفوعًا ، وفيه نظر ، ولا يحتج بهذا .

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عَفَّ عن المحرمات نظرًا وقولاً وعملاً ، وكتم ذلك فلم يتكلم به ، حتى لا يكون فى ذلك كلام محرم ـ إما شكوى إلى المخلوق ، وإما إظهار فاحشة ، وإما نوع طلب للمعشوق ـ وصبر على طاعة الله ، وعن معصيته ، وعلى ما فى قلبه من ألم « العشق » . كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة ، فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر .

و ﴿ **من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ . (٩٠ يوسف) .

وهكذا « مرض الحسد » وغيره من أمراض النفوس .

وإذا كانت النفس تطلب ما يبغضه الله ، فينهاها خشية من الله ، كان ممن دخل فى قوله (٤٠ ، ٤١ النازعات) :

﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنّة هى المأوى** ﴾ .

فالنفس إذا أحبت شيئًا ، سَعَتْ فى حصوله بما يمكن ، حتى تسعى فى أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية ، فمن أحب محبة مذمومة أو أبغض بغضاً مذموماً ، وفعل ذلك . كان آثماً ، مثل أن يبغض شخصاً لحسده له ، فيؤذى من له به تعلق ، إما بمنع حقوقهم ، أو بعدوان عليهم ، أو لمحبة له لهواه معه ، فيفعل لأجله ما هو محرم ، أو ما هو مأمور به لله فيفعله لأجل هواه ، لا لله .

وهذه أمراض كثيرة فى النفوس ، والإنسان قد يبغض شيئًا ، فيبغض لأجله أمورًا كثيرة بمجرد الوهم والخيال ، وكذلك يحب شيئًا فيحب لأجله أمورًا كثيرة لأجل الوهم والخيال . كما قال شاعرهم :

أحب لحبها السودان حتى — أحب لحبها سود الكلاب

فقد أحب سوداء ، فأحب جنس السواد حتى فى الكلاب .

وهذا كله مَرَضٌ فى القلب فى تصوره وإرادته . فنسأل الله أن يعافى قلوبنا من كل داء . ونعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء ..

والقلب إنما خُلق لأجل حُب الله تعالى ، وهذه الفطرة التى فطر الله عليها عباده كما قال النبى ﷺ :

ـ « **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء** » ؟ .

ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : اقرأوا إن شئتم (٣٠ الروم) :

﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ .

أخرجه البخارى ومسلم .

فالله سبحانه فَطَر عباده على محبته وعبادته وحده ، فإذا تركت الفطرة بلا فساد ، كان القلب عارفًا بالله ، محبًا له وحده .

لكن تفسد فطرته من مرضه ـ كأبويه يهودانه أو ينصرانه ـ وهذه كلها تغير فطرته التى فطره الله عليها ، وإن كانت بقضاء الله وقدره ، كما يغير البدن بالجدع ، ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يَسَّرَ الله تعالى لها من يسعى فى إعادتها إلى الفطرة ..

والرسل – صلى الله عليهم وسلم – بُعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها ، لا لتغيير الفطرة وتحويلها .

وإذا كان القلب مُحبّاً لله وحده ، مخلصًا له الدِّين .. لم يبتل بحب غيره ، فضلاً عن أن يُبتلى بالعشق ، وحيث ابتلى بالعشق فلِنَقْص محبته لله وحده .

ولهذا .. لما كان « يوسف » محبّاً لله ، مخلِصًا له الدِّين . لم يُبتل بذلك ، بل قال تعالى (٢٤ يوسف) :

﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ .

وأما امرأة العزيز فكانت مشركة هى وقومها ، فلذلك ابتليت بالعشق ، وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه ، وإلا فالقلب المنيب إلى الله الخائف منه فيه صارفان يصرفانه عن العشق :

أحدهما : إنابته إلى الله ومحبته له ، فإن ذلك ألذ ، وأطيب من كل شيء ، فلا تبقى مع محبة الله محبة مخلوق تزاحمه .

والثانى : خوفه من الله ، فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه .

وكل من أحب شيئًا – بعشق ، أو بغير عشق – فإنه يُصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه ، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب .

فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأخوف عنده من كل شيء ، لم يحصل معه « عشق » ولا مزاحمة إلا عند غفلة ، أو عند ضعف هذا الحب والخوف ، بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات .

فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفًا منه ، وترك المعصية حبّاً له وخوفًا منه ، قوى حبه له ، وخوفه منه ، فيزيل ما فى القلب من محبة غيره ، ومخافة غيره .

وهكذا أمراض الأبدان : فإن الصحة تحفظ بالمثل ، والمرض يدفع بالضد . فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل ، وهو ما يورث القلب إيمانًا من العلم النافع والعلم الصالح ، فتلك أغذية له . كما فى حديث ابن مسعود مرفوعًا وموقوفًا :

« **إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته ، وإن مأدبة الله هى القرآن** » .

والآدب المضيف ، فهو ضيافة الله لعباده آخر الليل ، وأوقات الأذان والإقامة ، وفى سجوده ، وفى أدبار الصلوات . ويُضم إلى ذلك : الاستغفار ، فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه .. متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمّى ، وليتخذ وِرْدًا من الأذكار فى النهار ، ووقت النوم ، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف ، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروحٍ منه ، ويكتب الإيمان فى قلبه . وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة ، فإنها عمود الدِّين . وليكن هجيراه : « **لا حول ولا قوة إلا بالله** » فإنها بها تحمل الأثقال ، وتكابد الأهوال ، وينال رفيع الأحوال . ولا يسأم من الدعاء والطلب ، فإن العبد يُستجاب له ما لم يُعجل فيقول : قد دعوت ودعوت فلم يُستجب لى ، وليعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا . ولم ينل أحد شيئًا من ختم الخير ـ نبى فمن دونه ـ إلا بالصبر .

والحمد لله رب العالمين ، وله الحمد والمنّة على الإسلام والسُّنّة ، حمدًا يكافىء نعمه الظاهرة والباطنة ، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين وسلم تسليمًا كثيرًا .

* * *

العشق .. والحق (*)

أما العشق .. فللمشايخ فيه كلام كثير ، وفريق من هذه الطائفة رأوا أنه يجوز على الحق تعالى ، ولا يجوز منه تعالى .

وقالوا : إن العشق صفة المنع عن المحبوب ، والعبد ممنوع عن الحق ، والحق تعالى ليس ممنوعاً ، فعشق العبد له جائز ، ولا يجوز منه (للعبد) .

وقال فريق أيضاً : إن العشق لا يجوز للعبد على الحق تعالى ، لأن العشق تجاوز للحد ، والله تعالى ليس محدوداً .

وقال المتأخرون أيضاً : إن العشق لا يصح فى الدارين إلا على طلب إدراك الذات ، وذات الحق تعالى ليست مدركة ، والمحبة تصح مع الصفة ، فينبغى أن لا يصح العشق عليه .

وقالوا أيضاً : إن العشق لا يتأتى إلا بالمعاينة ، والمحبة تجوز بالسمع .

ولما كان العشق نظرياً فإنه لا يجوز على الحق ، لأن أحداً لا يراه فى الدنيا .

ولما كانت هذه (أى المحبة) خبرية فقد ادعاها كل واحد ، لأن الكل سواء فى الخطاب .

فالحق تعالى ليس مدركاً ، ولا محسوساً بذاته حتى يصح للخلق العشق معه .

(*) أبو الحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى الهجويرى الغزنوى ، من علماء القرن الخامس الهجرى .

ولما كان بالصفات والأفعال محصّنًا ومكرمًا ، فإن المحبة تصح للأولياء : ألم ترَ كيف أنه حين استغرقت محبة « يوسف » ، « يعقوب » عليهما السلام ، فإنه حين وصلت ريح قميصه إلى أنفه فى حال الفراق ، أبصرت عيناه الكفيفتان .

ولما استهلك العشق « زليخا » لم تتفتح عيناها طالما لم تدرك الوصول .

وهذا شيء عجيب جدًّا ، فواحد يربى الهوى ، وآخر يترك الهوى .

وقالوا أيضًا : إن العشق ليس له ضد ، وليس للحق تعالى ضد ليجوز عليه ذلك .

وتوجد فصول لطيفة فى هذا ، ولكنى اكتفيت بهذا القدر خوف التطويل وهو أعلم .

* * *



فهرس الكتاب

فهـرس الكتـاب

صفحة

□ □ □


ت : ٩٣٢٧٠٦

العشق والحب .. فى الدين واللغة



- يحدثنا عن العشق فى اللغة للشيرازى ، وابن منظور ، والزجاج ، وابن الأعرابى ، والبغدادى .. كما يلقى الضوء على أنواع العشق ودرجات الحب . وألوان الهوى فى آراء ابن حزم الأندلسى ، ومغلطاى ابن قليج ..
- ثم يحدثنا عن العشق فى القرآن الكريم ، والعشق فى الحديث النبوى وعن حقيقة حديث « من عشق فعف فكتم فمات .. مات شهيداً » .
- كيف شفع النبى ﷺ لعاشق أن يواصله معشوقه بأن يتزوج به .
- ومن هى أحب النساء إلى النبى ﷺ ، ومن هى التى زوّجها الله له من فوق سبع سموات ؟
- وكيف كان حُب خليل الله إبراهيم لهاجر ، وحب أنبياء الله داود ، وسليمان ، ويوسف ؟
- كيف أقر (عمر بن الخطاب) بأن العشق لا يملك ؟ لماذا تعوّذ (ابن عباس) من العشق؟ وماذا قالت عاشقة لعثمان بن عفان ؟ وكيف كان عشق (عمر بن عبد العزيز) لجارية امرأته ؟
- كيف كان الخلفاء الرحماء يشفعون للعشاق إلى معشوقيهم ؟
- كيف كان عشق (عبد الله بن عتبة بن مسعود) أحد الفقهاء السبعة ؟
- سنتعرف على العشق فى آراء الغزالى ، والحسن البصرى ، والجنيد ، والخواص ، وابن قيم الجوزية ، وداود الظاهرى ، والرازى ، وابن تيمية ... وغيرهم .

دار الأمين
DAR AL AMEEN
طبع
نشر
توزيع
١٠ شارع بستان الدكة من شارع الألفى ـ القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦ ٧
١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش ـ الهرم ـ الجيزة